

تفسير سورة القمر

هي مكة

إلا ثلاث آيات وهي : أم يقولون نحن جبيع مستصر ، سيهزم الجبع ويولون الدبر ، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر : فذنية

آياتها ٥٥ — نزلت بعد الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأُنشِقَ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ *
 وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ *
 حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ * خُشَعًا
 أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَانِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ
 الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ
 وَازْدَجَرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ * ففَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا
 الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرِ * تَجْرِي
 بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * فَكَيْفَ كَانَ
 عَذَابِي وَنُذُرٍ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ
 كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ * تَنْزِعُ
 النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَهْجَازٌ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ * فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا
 إِذَا لَبِئْسَ ضَلَالٍ وَسَعِيرٍ * أَهَلْقِ الدُّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ يَمِينًا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ * سَيَعْمَلُونَ
 غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ * إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ

أَنْ الْمَاءِ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ * فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَمَقَرَ * فَكَيْفَ
 كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ *
 وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا
 عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ *
 وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ * وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا
 عَذَابِي وَنُذُرِي * وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ * فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي * وَلَقَدْ
 يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ * أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ
 فِي الزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ * سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ
 مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْيُ وَأَمْرٌ * إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي
 النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا
 وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * وَكُلُّ شَيْءٍ
 فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَظَرٌّ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ
 صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ *

هذه السورة ثلاثة أقسام

القسم الأول في تفسير البسملة .

القسم الثاني : ذكر آيات الساعة وعذاب الدنيا بإهلاك من أول السورة إلى قوله « فأخذناهم أخذ

عزیز مقتدر » .

القسم الثالث : توبيخ قريش ، وقياس حالهم على حال الأمم الماضية ، وهم سيهرمون كما همم الأولون

ویدخلون النار كما دخلوا ، من قوله تعالى : « أكماركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبور » إلى آخر السورة

القسم الأول في تفسير البسملة

يحب الإنسان من أمر آي القرآن ، وكيف كانت الرحمة الجسمية في الشمس والقمر ولذجوم قمر كرت

في القرآن هيئة لم يعهدا العرب الذين رمل القرآن بانهم ، يذكر الله الشمس فيقول : [والشمس وصحاها]

وذكر القمر هطول : [والشمس إذا هوى] وذكر القمر فيقول عطاه على [والشمس وصحاها ، والقمر

إذا تلاها [رجة عامة ظاهرة واضحة مجسمة ، لذلك يكرر الرجة في أول كل سورة ليلفت نظرا إلى رجحات مجسمة وغير مجسمة ، ومن غير المجسمة ما جاء في هذه السورة من العبر والحكم والمواظع والآيات الينيات . سبحانك اللهم وبحمدك جعلت الرجة تحيط بنا من بين أيدينا ومن خلفنا ، وعن أيماننا وعن شمائلنا . الله أكبر . الله أكبر : ربه : ظهرت أنوارك ولكها غشت على عقولنا لأنها أنوار لا حد لها ولانهاية ، شمس وقر ونجوم وجمال وبهاء ومعجائب تتلوها معجائب ، ولكن لما كانت العقول خامدة ، والنفوس جامدة ، منحها نعمًا على قدر طاقتها ، وهي عبر التاريخ وبدائع السير ونظام الأمم ، فأخذ يحدثنا بتاريخ من قبلنا ، فذكر تلك الأمم البائدة التي قرعت أسماع العرب من قوم نوح وعاد وقوم لوط وآل فرعون أخذ يحدثهم بما يعرفون وليس مما ينفعهم أو يؤثر فيهم أن يذكر لهم أم الصين ، وأهل استراليا ، أو أهل أوروبا ، فهؤلاء لا علم لهم بتلك الأمم فلم يكن هناك بد من تذكيرهم بما يأتون ، وإعلامهم بما يفعلون .

فسبحانك اللهم جعلت السابقين عبرة للاخقين ، والأولين نبراس الآخرين ، إن ذكر هذه الأمم فتح لباب علم التاريخ ، يرشد الله المسلمين إلى الاعتبار بتاريخ كل أمة من الأمم السابقة واللاحقة شرقا وغربا ، فليس ذكر قوم نوح وعاد وعمود بقيد في علم التاريخ كما لم يكن ذكر الإبل وخلقتها والسماء ورفعتها والحبال ونصبها ، والأرض ونظامها مقيدا للأمم الاسلام بهذه الخلوقات ، بل إن هذه أمثلة ونماذج لعلم التاريخ والاتعاظ والاتناس بمجواته المختلفة ليعتبر الخلف بالسلف ، ويقتدى الآخرون بالأولين ، واللاحقون بالسابقين ، ومتى درسوا هذه الدنيا عرفوا أنها منتظمة ، وأن كل شيء موزون بمران لا ينحس فيه ، وعلى ذلك النظام ستهزم الجوع الكافرة كما انهزم من قبلهم أمام جيوش الأنبياء السابقين « سيهزم الجوع ويولون الدر » .

ونتيجة ذلك النظام كله أن يقرب الناس من ربهم متى عرفوا أن عمله متقن وأدركته عقولهم ، وذلك القرب بالعلم والمساكنة لا قرب بالمكان ، والنهاية أن يكون الانسان في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وهذه نهاية السعادات في الحياة الدنيا والآخرة ، فأما في الدنيا فإن الناس جميعا في حيرة مغمورون إلا طائفة واحدة وهي التي أدركت هذا النظام وأعجبت به ، وإن يكون في حضرة الملك القدوس إلا هذه الطائفة ، أما بقية الناس فانهم إما في جنة ولا يرون الله إلا على مقدار ما عرفوا ، وإما في نار وهم عنه محجوبون ، والحمد لله رب العالمين . انتهى الكلام على القسم الأول في تفسير البسمله . كتب طهر يوم الثلاثاء ١٦ أغسطس سنة ١٩٣٢ م — ١٥ ربيع الثاني ١٣٥١ هـ

القسم الثاني : مذكرات بالساعة وعذاب الدنيا بالهلاك

التفسير اللفظي

بسم الله الرحمن الرحيم

(اقتربت الساعة وانشق القمر) أي سيدنو يوم القيامة ، وأنه قد انشق كما روى عن أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر من بين : أخرجه البخاري ومسلم [وكيفية ذلك] أنه انشق فلقين : فلقه فوق الجبل ، وفلقه دونه ، ومعنى هذا أنه يقول سبحانه : قرت اقيامة ، وهاهوذا القمر انشق من الآن كما تقول : أقبل الأمير وقد جاء اللشر بقدمه ، فإن انشقاق القمر دلالة على ماسؤول إليه حال العوالم العلوية والسفلية فإن ما لها الانحلال والموار . يقول الله : انظروا أيها الناس ، اسكن بطون لكواك والشمس والقمر لا يعترها البلى . إن القمر يقل الصاء ، والدليل على ذلك انشقاقه

الذي استبان لكم ليدلكم على أنه سيبيد من الوجود كما تبيد أرضكم ، والممكنات بأسرها تقبل الفناء .
يقول المؤلف : ومن عجب أن علماء الهيئة في العلم الحديث لم يذكروا أن شينا اشتق من الأرض إلا القمر ، ويقولون انه أثناء دورانها قديما انحلت عنها ودار حولها ، وهذا أيضا نوع من الانشقاق ، ولكنه انشق من غيره ، وانشقاق القمر من الأرض دليل على أن الأرض تبدل غير الأرض والسماوات ، فاذن يكون انشقاق القمر في القرآن من المعجزات العالمية لامن حيث أن قريشا رأوه منشقا وجبل حراء بين فلقتيه على رواية ابن مسعود غسب ، بل ان هذا الذي حصل زمن النبوة تذكرة باشتقاقه من الأرض وانفصاله عنها ، فكما انشق القمر نصفين هكذا كان هومع الأرض سابقا وانشقت الأرض فانفصل عنها القمر ، ومعنى هذا تجزؤ المادة وفناؤها وذهابها وتبدلها ، هذا ما تشير له الآية والافلام اذا خص القمر بالانشقاق ؟ ولماذا لم يختر الله له الشمس أو كوكبا من الكواكب ذلك لهذه النسكئة وهو أن القمر هو محل البحث الحديث ، وأن له انشقاقا عن غيره ، فانشقاقه شقين على الجبل ودونه يسير إلى ما كان له قبل ذلك من اشتقاقه من الأرض ، ويكون ذلك من دواعي العلم والكشف والبحث ، فانظر كيف جاء في هذه السور : البحر المسجور تحت الأرض ، والقمر المنشق من الأرض ، والرق المنشور إشارة لعصر الورق وعصر المدنية والعلم ، والبيت المعمور إشارة إلى العوالم التي كسفت الناس بعضها ، كل ذلك تذكرة للسامعين الدائمين الآن ، المستيقظين في مستقبل الزمان ، فهذه كلها محرمات على العلم مشوقات له ، وسيقوم بهذه العلوم أبناء أمة الاسلام في مستقبل الزمان ، انشقاق القمر فتح لباب العلم والبحث في أصل الأرض وأصل القمر ، وكل ذلك واجب على أمة الاسلام (وان يروا آية يعرضوا) عن تأملها (ويقولوا سحر مستمر) مطرد ، وذلك أنهم رأوا آيات متباينات فلم يعيروها السفانا (وكذبوا) النبي ﷺ (واتبعوا أهواءهم) وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق اظاھر (وكل أمر مستقر) كل شيء ينتهي إلى غاية تناسبه فأمركم ينتهي إلى غاية من الخلدان والعداب في الآخرة ، وأمر محمد صلى الله عليه وسلم ينتهي إلى نصر في الدنيا وحة في الآخرة ، وكل حركات الأفلاك ، ونظام العمران ، وأعمال الأمم ، ونظام الانسان وحيوان والنبات . كل ذلك داحس في هذه القاعدة . فلكل من هذه غاية ينتهي إليها . وهذه من جوامع الحكم وعجائب الحكم ، وقضية النبي ﷺ وقضية المشركين داخلتان في هذه القاعدة العامة ولذلك أعقبها بقوله (ولقد جاءهم من الأنباء) أي جاءهم في القرآن من أنباء القرون الخالية وأنباء يوم القيامة (ما فيه من دجر) اردجار من تعذيب العصاة يوم الدين وهلاك دولهم في الدنيا ، وأبدل من [ما] قوله (حكمة بالغة) غايتها لاخلل فيها ، والمخلص أن كل أمر ينتهي إلى غاية ، ومن تلك الامور المنتهية إلى غاياتها ما يلبى في كتاب الله من العذاب الذي يزجر من يعتبر ، ومن الحكمة المنتهية إلى غايتها مصداقا لما ذكر من أن كل شيء ينتهي إلى غاية تناسبه ، ومع ذلك لم يتعظوا وهو قوله (فما تعن الدر) أي فأى غنى تغنى الدر ، جمع نذير بمعنى المدر ، اذا علمت أن الانذار لا يفيدهم (فتولّ عنهم) واذا ذكر (يوم يدع الداع) أسقطت الباء اكتفاء بالكسرة والدعاء هنا بمعنى الامر كقوله تعالى «كن فيكون» أو الداعي اسرافيل (إلى شيء نكسر) فطبع تسكره النفوس لأنها لا عهد لها بمثلها ، وهو أهوال يوم القيامة (خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث) أي يخرجون من قبورهم ذايلا أبصارهم من الهول ، خاشعا حال من الواو ، وتقول خاشعا أبصارهم كما تقول يحسح أبصارهم ، وقرئ خاشعة أبصارهم ، وأما قرادة خشعا أبصارهم فهي على لغة أكلوني البراعيت كأنك قلت : يخشمن أبصارهم ، وقوله (كأنهم جراد منتشر) في كثيرهم وتوجههم وانتشارهم في الأمكة (مهظمين إلى الداع) مسرعين مآذى أعينهم إليه مقلين (يقول الكافرون هد يوم عسر) صعب (كذبت قلوبهم يوم نوح) قبر موك (فأسعدونا) بوح عليه السلام ،

وهذا تفصيل بعد اجمال (وقالوا مجنون) أى هو مجنون (وازدجر) أى وزجر عن التبليغ بأنواع الأذى (فدعاربه أنى) بأنى (مغلوب) غلبنى قوى (فانتصر) فانتقم لى منهم ، وذلك بعد أن يؤس منهم (ففتنا أبواب السماء بماء منهمر) منصب ، وهذه الجملة مبالغة وتمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها (وجرنا الأرض عيوننا) أى وجعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة ، وفى هيئة الاعراب عند النحاة يقال أصلها جُرنا عيون الأرض فعدل عنها إلى ما يفيد المبالغة (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الأرض وقرىء الماء ان (على أمر قد قدر) على أمر قد قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وجلباه على ذات ألواح ودسر) هذا من فصيح الكلام وبديعه إذ جعلت الصفة القائمة مقام الموصوف نائبة عنه فأدت مؤداه ، وذكر الصفة التى على هذا المنوال أبلغ من ذكر الموصوف ، فقولك قيصى مسرودة من حديد أبلغ من قولك قيصى درع ، فهكذا هنا ذات ألواح ودسر [جمع دسار ، وهو المسار من الدسر وهو الدفع لأنه يدفع منفذه] أبلغ من سفينة ، وقوله (تجرى بأعيننا) أى تجرى حال كونها محفوظة بنا ، لأنها إذا كانت مجرداً ففى فى حفظنا ، وإنما فعلنا ذلك (جزاء لمن كان كافر) وهو نوح ، لأن النبى نعمة من الله ورحمة ، فاذن نوح نعمة مكفورة (ولقد تركناها) أى السفينة ، أو الفعلة أى جعلناها (آية) يعتبر بها إذ شاع خبرها واشتهر أمرها (فهل من مدكر) معتبر (فكيف كان عذابى ونذر) جمع نذير وهو الانذار : أى فانظر يا محمد كيف كان عذابى ، وكيف كان حال انذارى لهؤلاء الذين أنذرهم نوح ؟ ألم يتم نصرى لوح الذى أنذرهم وهلاكى لهم لكفرهم ، وذلك من الحكمة السابقة « وكل أمر مستقر » فهكذا ستكون الأمم وأحوالها ، وهكذا عواقب أمورها (ولقد يسرنا القرآن) سهلناه (للكر) أى ليتذكر ويعتبر به (فهل من مدكر) أى متعظ بمواعظه (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) وانذارى لهم بالعذاب قبل نزوله ، ألم يكن مهولاً ؟ وكأنه يقال ما هذا العذاب فقال (إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة أو شديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستور) أى استمر شؤمه فاستمر عليهم حتى أهلكهم (نزع الناس) تعلقهم من أماكنهم حال كونهم (كأنهم أحجاز) أصول (نخل منقر) منقلع من مغارسه ساقط على الأرض ، وإنما شبهوا بالأحجاز لأن الريح طيرت رعوسهم وطرحت أجسادهم ، والنخل اسم جنس جعى يذكر ويؤنث ، فلذلك جاء فى القرآن : « أحجاز نخل حاوية » وجاءها « أحجاز نخل منقر » ونظير ماها « إليه يصعد الكلم الطيب » (فكيف كان عذابى ونذر) كثره لتحويل ، ولأن لهم عذابين : أحدهما فى الدنيا ، والثانى فى الآخرة ، وجاء فى قصتهم « لنديقهم عذاب الحزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أجزى » (واند يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ، كذبت ثمود بالنذر) بالانذارات والمواعظ التى جاء بها صالح (فقالوا أبشرا منا) من جنسنا أو من جلتنا (واحدا) منفردا (تبعه إنا إذا لقي ضلال وسعر) الضلال الخطأ والسعر الجنون ، ومنه لاقه مسعورة وهذه الكلمة مستعملة اليوم عند العامة فى أمتنا المصرية بهذا المعنى (ءألقى الذكر عليه من بيننا) وكيف يكون كذلك وفيما من هو أحنّ منه به (بل هو كذاب أشر) جملة الطر على الترفع علينا بادعائه الوحى فقال الله تعالى على لسان صالح عليه السلام (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم فى الدنيا ويوم القيامة (من الكذاب الأشر) الذى جملة أشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل أصالح أم من كذبه ؟ (إنا مرسلوا الذاقة) مخرجوها وابعوها (فتمة لهم) امتحاناً لهم لأننا نمتحن بالنعم والقم (فارتقبهم) فانظرهم وانظر ماذا يصنعون أيشكرون أم يكفرون (واصطبر) على أذاهم (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم بينهم ، وفيه تعليل العلاء على غيرهم فللافاقة يوم ولهم يوم (كل شرب محتصر) أى محصور بحضره صاحبه فى نوبته ، يحصر القوم الشرب يوماً ويحصر الماقة يوماً كما فى آية أخرى « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم »

ثم سئمو النعمة (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطى الأمر العظيم غير مكترث له (فعفر) الناقة ، أوفتعاطى السيف الخ (فكيف كان عذابي ونذر ، إنا أرسلنا عليهم) في اليوم الرابع من عقرها (صيحة واحدة) صاح بهم جبريل (فكانوا كهشيم المحنظر) أى كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لما شيته . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : هو الرجل يحنظر لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم ، والمعنى أنهم صاروا كيابس الشجر اذا بلى وتحطم (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ، كذبت قوم لوط بالنذر ، إنا أرسلنا عليهم حاصبا) أى الحصباء وهى الحجارة دون الكف ، وقد يراد بالحاصب الرامى : أى أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم أى يرميهم بالحصباء (إلا آل لوط نجيناهم بسحر) أى فى سحر ، وهو آخر الليل (نعمة من عندنا) أى انعاما منا (كذلك نجوى من شكر) نعمتنا بالإيمان والطاعة (ولقد أنذرهم) لوط (بطشقتنا) أخذتنا بالعذاب (فما روا بالنذر) فشكوا بالانذارات ولم يصدقوا (ولقد راودوه عن ضعفه) أى طلبوا منه أن يسلم إليهم أضيفه لما يقبح فعله (فطمسنا أعينهم) فسحناها وسويناها كسائر الوجه ، وذلك لما دخلوا داره عنوة ، أو طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا فأين ذهبوا ؟ قال تعالى (فذوقوا عذابي ونذر) أى ما أنذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) أى جاءهم وقت الصبح (عذاب مستقر) أى دائم : أى استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى الهلاك (فذوقوا عذابي ونذر ، ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) تكرار هذه وتكرار أمثالها فى القرآن كما فى [سورة الرحمن] الآتية للإيقاظ والتنبيه وهذا كثير فى كلام العرب كقوله :

قرّبا صرّبط النعامة منى * لقتحت حرب وائل عن حبالى

قرّبا صرّبط النعامة منى * شاب رأسى وأنكرتنى عبالى

وهى طويلة على هذا النسق ، وهذا التكرار يكون فى الأمر العظيم كما هنا ، فقوله ، « ويل يومئذ للكذابين » ، وقوله : « فبأى آلاء ربكنا تكذبان » عند النعم فى الأوّل ، والنعم فى الثانى من هذا القبيل وذلك لتكون العبرة حاضرة عند السامع مصوّرة فى الأذهان ، وكذلك تكون صور النعم غير منسية . ثم قال تعالى (ولقد جاء آل فرعون النذر) وفرعون أيضا من باب أولى (كذبوا بآياتنا كلها) وهى الآيات التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) لا يغلب ولا يغالب (مقتدر) لا يجهز شىء . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثانى من السورة .

القسم الثالث : توبيخ قريش وقياس حالهم على حال الأمم الماضية

وأنهم سيهزمون كما هزم الأولون ويدخلون النار كما دخلوا

قال تعالى (أ كفاركم) يامعشر العرب (خير من أولئكم) أى أقوى وأشد من الذين أحلت بهم نعمتى مثل قوم نوح ومن بعدهم (أم لكم براءة) من العذاب (فى الزبر) أى فى الكتب أنه لن يصيبكم ما أصابهم (أم يقولون) أى كفار مكة (نحن جبيع) جماعة أمرنا مجتمع (مستصر) تمتع لانضمام ، أنذر الله الأمم السالفة وعمّ ما أنذره هكذا ها يقول سبحانه (سيهزم الجمع ويولون الدبر) أى الادبار فكل واحد يولى دبره ، وهذا من دلائل النبوة فاهم هزموا يوم بدر وما بعده ، ولم يكن له صلى الله عليه وسلم فى مكة جيش بل كان أتباعه مشرّدين فى الآفاق ومعذب بعضهم . قال عمر رضى الله تعالى عنه : لما نزلت لم أعلم ماهى ؟ فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس السرعة

ويقول « سبهم الجمع » فعلمته . أقول : وليس ذلك قاصرا على يوم بدر بل استمر انهمزهم (بل الساعة موعدهم) موعدهم) موعدهم عذابهم الأصلي ، وعذاب الدنيا كالمقدمة لعذاب الآخرة (والساعة أدهى) أشد وأعظم داهية من الأسر والقتل يوم بدر وما بعده ، والداهية أمر فظيع لا يهتدى لدوائه (وأمرت) ماذا من عذاب الدنيا (إن المجرمين في ضلال) عن الحق في الدنيا (وسعر) ونيران في الآخرة (يوم يسحبون في النار) يجردون فيها (على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) أي ذوقوا حر النار وألمها ، فإن مسها سبب للتألم ، وسقر علم على جهنم ، تقول سقرته النار وصقرته إذا لوحته (إننا كل شيء خلقناه بقدر) أي مقدرًا مرتبًا على مقتضى الحكمة ، وهذا يقرب من قوله فيما تقدم : « وكل أمر مستقر » وأتبع تلك الحكمة بقصص الأمم وختمها بانذار أهل مكة ، ولما أتم ذلك ذكر النتيجة . فقال : إن كل شيء مرتب على مقتضى الحكمة ، فالأول كأنه قضية يراد الاستدلال عليها ، ولما ذكر قصصهم وانذار مشركي مكة ذكر الحكمة إشارة لسطوع البرهان وظهور النتيجة ، وهذا كقوله تعالى : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » فالعالم متشابهة ، وأحوال الأمم متشابهة ، فلا صلحون كلهم نافذة منصورون ، والمفسدون مقهورون معذبون ، ثم أعقبه بأن هذا يسير عليه فقال (وما أمرنا إلا واحدة) فعلة واحدة ، وهو الإيجاد بلا معالجة ومعاملة ، أو إلا كلمة واحدة (كلح بالبصر) في اليسر والسرعة ، ومنه أمر الساعة فهو كلح البصر ، وإذا ثبت لديكم أن كل أمر مستقر ، وأن كل شيء خلقناه بقدر ونظام وحكمة بما قصصناه عليكم من أمر الأمم فكيف تغفلون ولا تتعظون بعد ثبوت هذه الحكمة ؟ وهذا قوله (ولقد أهلكنا أشياكم) أشياكم في الكفر كما قصصناه (فهل من مدكر) متعظ (وكل شيء فعلاه في الزبر) مكتوب في كتب الحفظ (وكل صغير وكبير) من الأعمال (مستطر) مسطور في اللوح (إن المتقين في جنات ونهر) كسبب أي أنهار ، وإنما وحده لموافقة رؤس الآي ، وهي أنهار الجنة المتقدمة في [سورة القتال] وقرئ كجب جمع نهر (في مقعد صدق) في مكان مرضي ، أو في مجلس حق لا عوفيه ولا تأنيم ولا كذب لأن الله صادق فن وصل إليه امتنع عليه الكذب فهو في مقعد صدق (عند مليك مقتدر) مقرَّب بين عند من تعالى أمره في الملك والاقْتدار ، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » فهؤلاء هم الذين يحظون بالقرب من ربهم . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثالث من السورة ، والحمد لله رب العالمين .

لطائف هذه السورة

- اللطيفة الأولى في قوله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذکر فهل من مدکر » .
- اللطيفة الثانية في قوله تعالى : « إننا كل شيء خلقناه بقدر » .
- اللطيفة الثالثة في قوله تعالى : « وما أمرنا إلا واحدة كلح بالبصر » .

اللطيفة الأولى في قوله تعالى : ولقد يسرنا القرآن للذکر فهل من مدکر

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نحمدك على ما منحتنا من علم ، وجودنا من التيسير ، وأفضت من الخير علينا وعلى المسلمين في سائر الأقطار في هذا الزمان الذي به أشرق نور الاسلام وازدهر ، وظهر نوره وانتشر ، وأشرق أرض الاسلام بنور ربها ، وأظهرت أسرارها من المرقان وعلوما من العرفان لأمة الاسلام تناسب حالها ، وتساها من هدها ، وتوقظها من غفلتها ، وترفعها من كوتها ، وتطلقها من عقابها ، وتهدئها إلى سواء الصراط .

أقصّ اليوم السبت ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣١ م قصص ما كان بيني وبين صديقي العالم الذي اعتاد أن يحدثني في هذا التفسير ، إذ حضر الليلة وأفاض على من الأسئلة ، وكاهني فوق طاقتي من المباحث ، ولكنني والحمد لله استعنت به سبحانه وأجبت به قدر طاقتي « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وسيظهر في الأمم الإسلامية بعدنا أناس لهم قدم صدق وخبرة وحكمة في كل زمان بحسبه ، فالله لا يظهر الحكم والعلوم إلا مناسبة لزمان ظهورها .

قال صديقي العالم : إني قرأت اليوم [سورة القمر] فوجدت الله تعالى يقول في سفينة نوح : « ولقد تركناها آية فهل من مدكر » . ويقول : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » وهكذا يقول في آخر قصة فرعون وعاد ، وفي قصة ثمود ، وفي قصة قوم لوط ، ثم أعاد آية : « فهل من مدكر » عند قوله « ولقد أهلكنا أشياكم » كرر التذکر وطلبه سبع مررات بهيئة الاستفهام المقصود به الأمر ، وهذا أبلغ في طلبه ، والقرآن جاء هدينا نحن ، وإذا نحن أمرنا أن نذكر في سفينة نوح وأن الله تركها لنا آية ، وفي هلاك من كذبوا من أمته ، وفي قوم فرعون وهلاكهم ، وقوم عاد وثمود ولوط وجميع الأمم التي كذبت ، وهذه كلها غائبة عنا وتذكيرانا بها نافع ، أفليس هذا يكون داعيا حثيثا بالأولى أن نذكر فيما هو محيط بنا .

الله أكبر : ان هذه السورة فتحت لنا من العلم أبوابا ، فتحت لنا أبواب العلم على مصراعها ، جلّ الله جلّ الله ، إن كل ما فيها تاريخ قديم ، والتاريخ القديم اتبعه ما بعده وامتد الأمر إلى زماننا هذا ، إن الله عز وجل هو الذي أمرنا بالاعتبار بتاريخ الفراعنة وهلاكهم بعد قوم نوح وهلاكهم ﴿ وبعبارة أصرح وأبين ﴾ ان المسلمين في زماننا يجب عليهم أن يعتبروا بقدماء المصريين ويدرسوا تاريخهم ، وتاريخهم تقدم منه شيء في هذا التفسير ليكون أنسأ لقرآئه ، وفيه عجائب دول المصريين القدماء من حيث تطور أحوالهم من الأحسن إلى الحسن إلى الرديء ، وقد كانت كبروتهم وزوال ملكهم تابعين لانحرافهم وسوء سلوكهم ، وهذا تقدم في سور كثيرة ومنها سورة غافر عند آية مؤمن آل فرعون ، وهكذا بلاد حضرموت التي تقدم وصفها في سورة الأحقاف ، وكيف كان بها قوم عاد ، وأن آثارهم باقية ، وهناك قبر هود عليه السلام ، والمسلمون جميعا مقصرون لأنهم لم يرسلوا من يفاك تلك الرموز التي في ذلك القبر كما أخبرني بذلك من شاهده هناك ، وكذلك قبر صالح عليه السلام في تلك البلاد ، فهذه الأمم التي بقيت آثارها يجب استقصاؤها بالدرس لمعرفة علومها والانتفاع بها ، وكيف تدهورت واضمحلت حتى نجتنب نحن ما وقعت فيه تلك الأمم بالتفصيل ، أما الاجال فلا خير فيه ، فالادكار المذكور في الآية يستحيل أن ناله إلا بالتفصيل ، أما الاجال فهو مقفل الأبواب معطل الحكمة ، والتفصيل هو الخير وهو العلم والحكمة .

هذه الآراء أذكرها الآن لأني فهمتها من سابق هذا التفسير ، فان ماضى من التفسير يجعلني أفهم هذه الآية على هذا الوجه ، وأقول : ان أمم الاسلام المستقبلية ستكون فيها جماعات مختلفات موزعات على العالم لكل طائفة منها جماعة تدرسها ، هذا هو الذي سيكون ، وانما قلت انه سيكون لأن ذلك تكرر مرارا في هذا التفسير والمسلمون يقرءونه ، فهم لاجرم سيقومون بهذا الأمر وهو توزيع العلوم على جماعات مستعدات للدرس الخاص ، فأنا من هذه الوجهة مطمئن على تلك الأمم الإسلامية المستقبلية ، إنما الذي أريد أن أسأل فيه اليوم [أمران : الأمر الأول] ما أشاهده في مصر من أن المسلمين قد جعلوا قراءة القرآن ذات هيئة خاصة في ولائهم وأعراسهم وختان آبائهم ، وكذلك اذا استهلّت أطفالهم بالولادة ، أو مات أحياءهم ، فاني أراهم قد جعلوا أناسا اختصوا بالقراءة في هذه الأحوال بأجر معين ، فالولادة والموت ووليمة العرس والختان وغيرها كل هذه يقرأ القرآن فيها أناس مختصون ، فالقراءة حرفتهم والناس يسمعونها لاسيما اذا كانت تلك

بصوت حسن ، فهل هذا من الذكر المذكور في الآيات ؟ هذا هو الأمر الأول . أما الأمر الثاني فهو ما نسمعه عن الصوفية أو تفرؤه في كتبهم من ذكر آيات أشبه برموز لبعض المعاني الدقيقة ، فهذا أيضا من الذكر المذكور في الآية إذ يقول : « فهل من مدكر » وكيف يكون ذلك الذكر ؟ وإذا كما مأمورين أن نذكر آل فرعون وعاد وثمود وغيرهم من الأمم البائدة أفلاتنذكر وتدبر أمر هؤلاء الأولياء الذين هم أقرب إلينا وكتبهم بين أيدينا ومن هم أحياء الآن وهكذا قراءة القرآن المتقدمة في الأمر الأول فيجب علينا أن نتذكر وتدبر في أمر هذه كل بحسب حالها فما كان منها ضارًا اجتنبناه ، وما كان منها نافعًا قبلناه ، وما قرأته من كلام هؤلاء الصالحين ماجاء في كتاب [درر العواص ، على فتاوى سيدي الخواص] تأليف الشيخ عبد الوهاب الشعراني ، فهذا الكتاب وغيره يقرؤه المسلمون ويجدون آيات لا مناسبة بينها وبين المعاني التي سبقت الآية لأجلها ، فهل هذا إذكار أم هو أمر لا يلبق بكتاب الله ؟ فهنا يجب تمحيص الحقيقة لأن هذا الزمان زمان مدأ ظهور الحقائق ، ومن ذلك ما يقوله الصالحون ، ومنه ما هو مشاهد في عمل العامة في الأمر الأول ، فالذي نشاهده في مصر من قراءة القرآن يحدرسه ، والذي نسمعه عن الأولياء يجب تمحيصه بقدر الامكان ، ولقد جاء في كتاب [درر العواص] ما فواه :

(١) أولًا : ان الشيخ الشعراني سأل الشيخ الخواص الذي كان رجلا أميا لا يقرأ ولا يكتب عن الخواص القسيحة هل تقع للخواص كما تقع للعوام ؟ فقال له . كلا . إن الخواص لا يشاركون العامة في خواصهم التي تطرقهم ، ووصف أكل الخواص بأنه له الصيب الأتم من مقام العبودية لأنه منزه من أن ينحصر في وصف دون آخر من حال أو مقام ، قال تعالى : [يا أهل يثرب لا مقام لكم] . هذا كلام الخواص للشيخ الشعراني ، ثم استمر صاحبي في حديثه قائلا : أين الآية وأين الكلام في وصف العارف ؟ هل معنى الآية ينطبق على ذلك ؟ والآية في واد ووصف العارف في واد آخر هل هكذا يكون التدكر ؟ وهل هدا تيسير القرآن للتدكر ؟ وهل يكون ذكر القرآن بأمر هو براء منها ؟ فأين الثريا وأين الثرى ؟ مدينة يثرب معروفة ، والآية سبقت لأحوال العارف ، والقصة في غزوة الأحزاب ، وفي سورة الأحزاب ، كل هذه أمور متناقضات لا بد من تمحيصها حتى نفهم هذه السورة وكيف يقول الله : [ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر] . وهكذا يكون تذكر الخواص من أمتنا ! .

(٢) يقول الشعراني : سألته رضى الله عنه عن قوله صلى الله عليه وسلم : [الجنة تشتاق إلى أربع : على ، وعمار ، وسلمان ، وبلال] ما حكمة تخصيص هذه الأربعة ؟ فأجابه الخواص بأن العلو والعمارة والسلامة من الآفات والبله ، وهي برد القلب من خطور زوال ذلك العيم ، هذه المعاني الأربعة هي أركان نعيم الجنة ، وإهم لا يتم نعيمهم إلا بها ، وهؤلاء الأربعة هم الموكلون بالأشهر الأربعة التي هي مظاهر العلوم والأعمال المكسوبة والموهوبة .

(٣) ثم قال : ويوضح ذلك [وان الدار الآخرة لى الحيوان لو كانوا يعلمون] فأين على وعمار وسلمان وبلال .

(٤) وأين أعمار الجنة والعلوم والمعارف والأعمال المكسوبة والموهوبة ؟ وأين هؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وآية : [وان الدار الآخرة لى الحيوان] أمور متساعدة قرنت معا .

(٥) وسأله عن حقيقة الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام فقال هي الأفعال المقابلة لما عليه الأبناء وكل ورثتهم من كمال الأفعال والأحلاق ، والسرى في ذلك اظهار ممة الله على العبد ، وحلمه عليه

لاغير، والكل منه واليه ، لكن لا يخفى تفاوت الناس في الذنوب ، فربما كان ما تقرب به عبد يتوب منه عبد آخر ، فأين الشجرة التي في الجنة ؟ وأين أفعالنا نحن المعايير لأخلاق الأنبياء ؟ وكيف يجعل الأكل من الشجرة نفس ذنوبنا نحن وأعمالنا ؟ هذا أمر غير ما يقول القرآن ، فهل هذا ذكر ؟ وهل هذا ينطبق عليه قوله تعالى : « فهل من مدكر » فأين الادب كرهنا ؟ .

(٦) وسأله الشعراني : أيصنى لمذح من يمدحه ؟ فأجاب بقوله : لا تركز قط إلى من يمدحك فان النفس تألم ذلك وأنت لا تشعر ، وكل شيء ألفتة نفسك تخلفت به عن اللقوق والتخلق بأداب العبودية اتى من شأنها فترك دائماً وغنى ربك دائماً ، إذ لا كمال يدعيه الانسان إلا وهو في الحقيقة لله وهو في ذلك مازع لأوصاف الربوبية من حيث لا يشعر ، خاله كحال فرعون والغرود وسواه ، حيث ادعى ما ليس لهما من صفات ربهما ، وكان ذلك سبباً هلاكهما ، وقد وقع التوبيخ الإلهي لمن يدعى ما ليس له بقوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » . وقال : « يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفدوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا » كل ذلك جاء اعلاماً للعبيد أن يتبهوا لأنفسهم ويعترفوا بالجزء والنيل والمسك ، وأن لا يتعدوا صفات العبودية التي خلقوا لها ، والله أعلم اه — ثم قال صاحبي : فأين آية يأمرنا الله فيها بالعبادة وترك مدح المادحين ؟ أفليس هذا اتساع في معنى الآية غير مألوف .

(٧) ثم قال : وقد سألته بلسان الافتقار عن الأحذية السارية في الوجود ، ولشدة ظهورها مع صغائها (ظهور الأحذية وصفاتها قد طهر بعض سرها في سابق هذا التفسير) فأجاب بقوله : [أها] ثم سكت وقال [كم] ثم [التكاثر] فهتمت ، فأين آية [أها كم التكاثر] ومعنى سر الأحذية التي ظهرت في كل مخلوق ، ولكن غفل عنها أكثر الناس مع أن الآية واردة في التكاثر في الأموال والأولاد ، ووحدة الله السارية في الوجود المشرفة للخواص أمر آخر غير الوارد في الآية .

(٨) ثم سأله عن سد توقع طرق الأولياء وكثرتها مع ان المظالم عند الجوع واحد لا تصح فيه القسمة ولا يقلها . فقال : إنما تعدت الطرق لتعدد القوابل والاستعدادات لأنه لا يدرك الانسان بصفة واحدة أبداً ، ومحال أن يوجد الحق عند واحد ويكون مفقوداً عند آخر كما أشار إلى ذلك قوله تعالى : « كل يوم هو في شأن » واليوم هو الزمن الفرد الذي لا يدرك ، وكذلك أشار إليه قوله تعالى : « رنا وسعت كل شيء رحمة وعلما » فان الرحمة غير الذات والعلم صفتها ، فآية : « كل يوم هو في شأن » واضحة في نظام هذه العوالم ، أما تنوع المدارف على حسب الاستعداد فذلك مسلك آخر .

(٩) ثم سأله عن خشوع الداكرين الذي يذهب حالا بعد تمام الذكر ، لمادا يذهب سر بها ؟ فأجابه بجواب واسع أدخل فيه مسألة كرامات الأولياء ، وأن كذباً مهم تميل نفوسهم إلى الكرامات ليرتمعوا على أناء حسهم ، وهذا من حب النفس ، والحق لا يدرك لحمة النفس وتكرها وتلصصها على مراتب الأولياء وإنما يدرك تعالى به فصلاً . ومرة : « هو احتسأكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم » . فسأله ما ملة أينا ابراهيم ؟ قال للسليم واما مويص لله رب العالمين ثم قال له : ان سترحالك عمك الآن خير لك ، لأن من أعطى شيئاً من محوبات النفوس في هذه الدار بقص رأس ماله وخرج من الدنيا محسرة ، اللهم إلا أن يعطيه الحق ابتداء من غير ميل للنفس ، فذلك محمول عن صاحبه ، إلى أن قال : وياك أن تميل إلى شيء تأله النفس فان السلم

معه ، ولا يعين السم إلا النفس ، وانظر إلى قوله تعالى : « ولا تقربا هذه الشجرة » مع علم آدم عليه السلام بها حال تعليمه الأسماء ، فلما أراد نفوذ قضائه وقدره ألف بينه وبين من كان سببا لأكله من الشجرة وليست إلهام الخ .

قال صاحبي لي : فأين ميل النفس إلى الكرامات ؟ وأكل آدم من الشجرة ، وأين آية « هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج » الخ من مسألة ميل النفس إلى الكرامات وظهورها للداس ، هذا ما أردت سؤالك عنه اليوم فأرجو الاجابة ؟ فقلت غدا ان شاء الله عسى الله أن يأتي بالفتح من عنده وهو الفتح العليم .

حضر صاحبي في العبد وأخذ يطالبني بالاجابة على ماسبق في المجلس السابق فقلت له : إن سؤالك أمس يرجع لأمرين : الأول قراءة القرآن المعروفة اليوم بين المسلمين في الطرقات وفي المارل والمقابر وفي الحتان والولادة والموت وما أشبه ذلك ، وحوابه أن أقول : أيها الأخ الذكي : لقد كنت أيام الشباب أقف وأنا مدرس بمدرسة الجزيرة الأميرية على شاطئ ترعة هالك وسط المزارع الجيلة ، وأفكر في أمر الديانات واختلافها وكثرتها ، ثم في أمر الفرق الاسلامية وتشعبها وأقول : كيف يكون من الديانات ما يحصر الفكر ويضرب العقل ، ومنها ما يسرع رقي الأمم ، ومن الديانات ما هو أرفعها وأصلحها ولكن أهلها جاهلون فيرجعونه لطريقتهم ، ويجعلونه على حسب مألوفهم ، فما كدت أتم ذلك حتى رأيت الجواب في الحقول ، وكأن الزرع والسجر تخاطبني قائلات : انما نحن ثلاثة فرق : فرقة للغداء وفرقة للدواء وفرقة للهلاك ، فأكثرنا عذاء ، وأنهدرنا للهلاك بالمواد السمية ، والقليل للدواء . القمع للغداء الخروج للدواء ، المواد السمية للهلاك ، ولكل ما مزية خاصة لفائدة شريفة ، وحذف أحدنا من الوجود نقص في الطبيعة وخلل في النظام .

ثم انظر إلى هذه البرك والمستنقعات : ألسنت ترى فيها حشرات وهوام وحشائش قدرة في مأمتها الراكد ومع ذلك تكون هذه الحشائش مأوى لتلك الحشرات وتلك البرك وما فيها زينة لتلك الحشرات ومرتع وغذاء ومتاع إلى حين ، إن البرك ماؤها ضار ولكن أصله من ماء النيل السعيد المبارك ، فما مثل الديانات إلا كمثل النباتات اختلافا ، فكل أمة عقائد ألفتها وإن كانت باطلة ، ونحل ورثتها وإن كانت عاطلة ، وملل اعتقتها وإن كانت منحرفة ، وهذه العقائد كلما كثرت فيها مناهج الأخلاق كانت أقرب إلى اصلاح تلك الأمم ، وكما كثرت الحرافات والضلالات والتواكل كانت أقرب إلى الاهلاك والتدمير ، ولأولى أشبه بالقمح ، والثابية أشبه بالسم في النبات ، ولهذا نتأجج في النظام العام العقلي كالتأجج المرتبة على النظام السباتي ، والنظامان متناسبان المادى والعقلي .

وأقول الآن : ماسل قراءة القرآن في الطرقات وعلى المقابر وفي حال الحتان والولادة والموت وولائم العرس إلا كمثل تلك المستنقعات والبرك التي انقطع السيل عنها وتكاثرت فيها أنواع الميكروبات والحشائش والمياه القدرة وصارت تنفع لأدنى الحشرات واطعام الميكروبات ، وإذا أكلت منها البواب استصرت بالأكل منها وأهلكت بعضها ، فهذه فيها مسافع للحشرات ولعص الحيوانات وللإنسان فانه يصطاد منها السمك ويقتات به . ولكن سوائهم قد تعرض للخطر بالأكل من تلك الحشائش ، حتى ان الملاحين في بلادنا المصرية يقولون [ملان جاموسته معشوشة] يريدون بذلك اهمهم يجدون بعد ذبحها في بعض أحشائها أنواعا من البود والحيوانات الرخوة . كانت تهلك جثمانها في حال حياتها ، فهؤلاء الفلاحون اذا طلوا عاكفين على ما هم عليه والذى أفوه فانهم يأخذون في الاقرض والدل والحضوع ، ولكنهم اذا أصلحوا ترعهم وقناطرهم ،

وسارعوا إلى ادخال ماء النيل في مزارعهم فان الوباء ينحف ، والضرر يزول ، وتصالح أرضهم للزرع ، وعقوبهم إلى العلم ، ونسلمهم إلى الكمال ، هكذا هذه العادات الموروثة عند بعض أمم الاسلام كأمتنا المصرية فانها أتبع دين الاسلام الذي نزل في جزيرة العرب ، وجسده أجدادنا ، وعملوا بقوله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفاها » ورفع دولهم أيام الصحابة والتابعين ، ولما زال ملك الأمويين وحل محلهم العباسيون ، وحل القرآن أم غير عربية كالفرس والترك ، وذلّ الناس وخضعوا للترهات ، وتقلص ظلّ الدين ، وأصبح رسوما مرسومة ، وأقوالا محفوظة ، وطرائق مخصوصة ، ونزع لها ، وحفظ قشرها ، هنالك أخذ الناس يقلدون الآباء وهم يجهلون علومهم ، ويحفظون القرآن بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير .

فقال صاحبي : إذن أنت تقول ان قراءة القرآن على هذه الشرائط وفي تلك الأحوال المعتادة في أمثال بلادنا المصرية غير مجردة ؟ قلت : اني قد أوضحت بضرب المثل ، وأقول أيضا : إن قراءة القرآن على هذا النمط لها نفع ما ، فان الأموات اذا أحسوا بأن الأحياء يذكرونهم حصلت لهم مسرة بذلك ، واذا قرئ القرآن لأجلهم زادت مسرتهم ، هذا حسن ولكن يظهر لي أن هذه الأمة نسيت أصل دينها ، دينها إيمانها لتذكر الأحياء وتعليمهم ، وترقيهم واصلاح شؤونهم لا إلى الأموات ، وغاية الأمر أنهم لما ماتت نفوس الأحياء حولوا القرآن وقراءته للأموات ، فقد فعلوا في أنفسهم ما حكاه لي أحد نظار المكاتب المصرية قبل الاستقلال الداخلي لبلادنا المصرية في أيامنا هذه ، إذ دخل مفتش انجليزي المدرسة الأولية ، وأخذ يسأل هل عمل ناظر المدرسة بتعليماته ؟ وما هي تعليماته ، انهم في ألعابهم يمتلئون الميت محجولا على النعش وهم يضحكون ويفعلون قدام نعشه ووراءه مثل ما يفعله الفقهاء من الترتيل والأقوال المألوقة تدريبا لهم على الاستخذاء والاستجداء والذلّ والمهابة ، واتباع الجنازات ، وتعلما لهم أن يكون ما يحفظونه من القرآن وسيلة لطلب الرزق من هذه الناحية إحياء للذل والجهل وامانة للدخوة والعلم ، فهذا تدريب لهم في حال الصغر منه يضحكون لينشطوا في دروسهم ، حتى اذا كبروا لم يعوزهم كبير عناء في الاستماتق الى اتناع العيش ، وتحصيل أجور المشي في تشييع الأموات إلى قبورها ، ومقاضاة الأحياء في أجورها ، وهذا قصد جميع المستعمرين ، والمستعمرون على قسمين قسم هذا شأنه وهو ظاهر فيما تقدم ، وقسم آخر استعمار خفي ، وهو استعمار الجهل الذي حاق بالأمم الاسلامية دهورا ، وأناخ بها قرونا ، فأذل الأبناء وأضرّ البلاد ، وحق بهم ما كانوا به يستهترون ، وهذه الطوائف بقيت في مصر مثلا جعلها الله لنا تذكرة كما جعل اللغة الهيروغليبية عند الأقباط بمصر في أدبهم ومحالّ عبادتهم ، يقرءونها تعبدا لأجل دينهم ، وهم منهمكون فيها حتى اذا جاء [شامليون] العالم الفرنسي وحلّ هذه اللغة وألغزها ، وأعانه على ذلك هؤلاء العباد (بتشديد الباء) فنشرها في العالم كله ، واتنعت نفس مصر بهذا العمل ، هكذا هذه العادات الموروثة وقراءة القرآن على هذا النمط إنما أبقاها الله إلى أيامنا هذه لفعل ما فعلته بلادنا المصرية إذ ردمت المستنقعات ، وروت البلاد بماء النيل ، وحرّات تلك البرك إما إلى مزارع نضرة يسقيها ماء النيل ، راما إلى بيوت وحدائق وجنات وأغاب وفواكه ، فسيحقل المسامون بعدنا تلك المقاريء وعاداتها إلى أن بقيموا في تلك الأوقات وعاطا فضلاء ، مدرّبين على إلقاء المواعظ الحسنة ، فيقفون وسط الجوع في ولائم أفراحهم ، وحتان أطعاهم ، وأيام الولادة ولوفاة ، ويلقون لهم المواعظ مستشهدين بالقرآن الذي ألقوا سماعه فذلك خير وأبقى ، وذلك كما حوّل أهل بلادنا البرك إلى مزارع وحوّل شامليون الفرنسي اللغة الهيروغليبية المحفوظة في هياكل العدايات إلى لغة تحلّ بها الرموز وتظهرها الكسوزالغمية ، والأسرار الحكيمية ، المودعة في السواويس المخومة في انقار والعراني والاهرامات . وفي صناديق الأموات وعلى حيطانها ، والله خير حافظ وهو أرحم الراحمين .

فقال صاحبي : الله أكبر ، إنى رأيت اليهود والصارى يقولون ذلك فى محافلهم ومجتمعاتهم ، فيقوم خطيب واعظ يذكرهم بمافى السورة والانجيل . فقلت : إن هذه أمم قد تفرقت فى العلم قبلنا فى هذه الأيام ففعلوا ذلك بعقولهم ، وقد كانوا فى غفلة مثلنا ولذلك ارتقوا عنا وان كان دينهم منسوخا ، ونحن بعون الله سنرتقى سريعا ، ويكون ارتقاؤنا أسرع من ارتقاؤهم ، لأن ديننا أرفع الأديان ، وهو الناسخ لها إلى آخر الزمان « والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

فقال صاحبي : إن هذا المقام جميل وبديع ، وهذا التشبيه الذى بنيت عليه الجواب بديع قد أظهر الموضوع وجلاء فأصبح واضح الحيا جميل المظهر بديع المخبر ، والحمد لله على نعمة العلم والحكمة ، إنه هو السميع المجيب وأرجو الشروع فى الاجابة على الأمر الثانى وهى الحكم الملقاة على السنة الصالحين والأولياء . فقلت : قد تقدم الكلام على ذلك فى هذا التفسيرى [سورة يونس] عند آية : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » الخ فارجع إليه هاك إن شئت .

اللطفية الثانية

فى قوله تعالى : إنا كل شىء خلقناه بقدر

القضاء والقدر (١)

هلج الناس فى كل زمان ومكان بذكر القضاء والقدر ويقولون ان الله يقول : « إنا كل شىء خلقناه بقدر » واذا كان كذلك فلم العذاب والعقاب والعتاب ؟ ثم انه رحمن رحيم ، فأين الرحمة للمؤمنين ؟ وأين السعادة للظالمين ؟ وان هم فى عذاب الجحيم ؟ .

هذه حال الانسان على أى ملة كان ، وأى دين فى مشارق الأرض ومغارها ، حيرة لاحد لمداها ، وأسئلة لاجواب عليها إلا من أناس صفت نفوسهم وعلت عقولهم ، فيكونون فى نوع الانسان أشبه بالمؤمن ، هذه صورة مطبقة على أهل هذه الأرض أجمعين ، فهناك أيها الدكى فاستمع ما ألقى الساعة إليك نلقب صاف ونفس واعية وتدبر فانه هذا الداء دواء ، ولمرض الحيرة فى القلب شفاء ، وكن من المستبصرين .

لأضرب لك أولا مثلا رجل مهندس عبقرى فى الهندسة ، عزم على أن يبنى بيتا ، وهو بأنواع البيوت عليم ، ففكر فى صورها ونقله واقترح منها صورة صورها فى نفسه واصطفاها لمسكنه ، ثم رسم ما اختاره وبناه وشده على أحسن موال وأجمل مثال ، وفى البيت فرش مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمازق مصفوفة ، ووراني مشوثة ، وعلى حيطانه أنواع الصور المختلفة الأشكال ، البديعة الجمال ، ويحيط به بستان تفر به عيون الناظرين ، ويسر بمرآة جهور الزائرين ، ودخل البيت رائحة منهم العميان ومنهم المبصرون ، ولما كان هذا المهندس كريم التميم ترك للرائين الحرية أن يدوروا فى البيت كما يشاءون ، ويعرف حوا على فرشه ونمازقه وأشجاره وهم آمنون ، فاطلق أحد العميان فى المنزل ، فاصطدم فى أرض الحجرات بالأرائك ، فخر على الأرض كالصريع ، وما كاد يقف حتى لطمته الألواح المعلقة فأدت أذنه ، وما كاد يمسه أو يمسسه وقد مشى خطوات حتى سقطت رجله فى المرماى فقعده حزينا كئيبا وأخذ يقول : إن رب هذا البيت رحل عظيم ورحيم ، فكيف حاب طوى فيه ؟ فأين الهندسة والنظام ؟ وأين الكرم والرحمة للرائين ؟ ولم يزل كذلك حتى حابه رحل مصرفا خسا بشرح له دهق البيت رمافيه من الجمال وحسن الاتقان ، وفرح أشد المرع

(١) هذا المقام اسرى [محبة المعرفة] بقلم المؤلف .

وقال هذا هو النظام ، وهذه هي الرحمة والاحسان . هذا أيها الذكيّ هو المثل الذي ضربته لبيان هذا المقام . إن [علم المهندس] بنظام السيوت واصطفاه منها واحدا هو أجلها ضرب مثل للقضاء ، فالقضاء راجع لما ثبت في العلم القديم للسكروبات ، وابرار البيت على ما قدره المهندس في نفسه على أحسن منوال ضرب مثل للقدر لأنه راجع لظهور المخاوف على ما سبق به العلم القديم .

[العميان] ضرب مثل لجميع الجهلاء على أيّ دين كانوا ، ولطائفة الملحدّين والمتعلمين تعليما ناقصا في مدارس الشرق والغرب أجمعين [والمبصرون] ضرب مثل لأناس جادت قرائنهم ، وزكت نفوسهم ، واشتدّ شوقهم للعلم والبحث فلم يكونوا كأولئك العميان يهرفون بما لا يعرفون ، فدرسوا هذه الدنيا دراسة متقنة من الرياضيات والفلك والطبيعيات ، وأدركوا بصفاء عقولهم جاهلها وبهاءها ، ثم رجعوا إلى إخوانهم وأخذوا يخاطبونهم بما يفهمون ، ويكلمونهم بما يعقلون ، وسعدوا بسعادة لاحد لمداهها وكانوا من الفائزين ، وهؤلاء يقال لهم : « يا أيها النفس الطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » فإذا سمعوهم يتحدّثون في القضاء والقدر يخاطبونهم قائلين : أيها الأعداء : ليس لامرئ أن يقصر في عمله محتجا بالقضاء ، فتلك حجة الكسالى الغافلين ، فإذا ما أتمه على حقيقته واجتاحتها الجوائح فهناك يقول : القضاء سلوة المنكوبين وراحة البائسين ، إن هذه المسألة ليست بنت اليوم ، ألم تروا كيف يقول الله حكاية عن كفار العرب أيام البؤة : « وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء » فردّ الله عليهم مهتدا بالوعيد فقال : « كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تقبعون إلا الظنّ وإن أتمم إلا تخرصون ، قل فأنه الحجّة البالغة فإشياء لهذا كم أجمعين » ونقول : كما قامت حجة المهندس رب البيت على الأعمى ، هكذا تقوم حجة الله على من يخوضون في القضاء والقدر وهم جاهلون ، إن الأمّ التي فتحت على نفسها باب القضاء والقدر هي التي قد استعدت للفناء وباتت بلو بال ، وأسيت عقولها ، وعدتها حملا ثقيلًا عليها ، لأنهم على الشهوات عاكفون ، وفي نعمة الجهالة ساهون ، وكيف يهتجون هذا الباب وهم يجهلون ؟ وأنى للعميان أن يدركوا محاسن الجلال في الفتيات والفتيان ؟ إن المسلم الذي شعله القضاء والقدر وهو بعد لم يدرس نظام الدنيا وعالومها حرى به أن يبوء بالخسران ، فهذه الطائفة في الدين أشبه بأولئك الذين يجلسون في أماكن الشرب العامة ببلادنا المصرية ، ويدور كلامهم على سياسة الدول وأسرارها وهم يجهلون سياسة منازلهم وأمّتهم ، فهم في ذلك مغرورون . إن الناس ثلاث طبقات : عامة مصدقون ، وحكام محققون ، ومتوسطون بين هذين مذنبون متحيرون فالفرقان الأولان مطمئنون ، والفرق الثالث جعلت حيرته مهمازا يسوقه إلى البحث ، فإذا قصر فهو في ضلال مبين ، وكيف يخوض في القضاء والقدر من يجهل تشريح جسمه وبدائع تركيبه ، وأن في كل عين من عينه سبع طبقات وثلاث رطوبات ، ومن الطبقات السبع طبقة تسمى الشبكية ، وهي لا تزيد في سمكها على سمك ورقة الكتابة ، وهذه وحدها فيها ثلاثة ملايين مخروط وثلاثون مليون اسطوانة ، وهذه كلها مينة بالتصوير الشمسي وانحمة ، وبهذه الملايين يكون الاحساس والظر . بعد كتابة ما تقدّم في هذا المقال وجه إلى أحد الأصدقاء اعتراضا جاء فيه ما يأتي :

إن هناك فرقا بين المثل والممثل له فان المهندس ربّ البيت ليس مسئولا عن العمى فليس من حق الأعمى الذي حصل له الألم بشح رأسه أن يقول له لم كبت أعمى ؟ لأن المهندس لاسلطان له على عين الأعمى ولكن الممثل له غير ذلك ، فان الذي أصبح متشككا متحيرا هو نفسه من صنع الله ، واذن فالاشكال باق ، والمسئلة على حالها ، والمثال لايجدينا نفعا ، فأتمن الحاضرون على كلامه . فقلت : لا اشكال

لا اشكال ، فقال الحاضرون : أين ابن البرهان ؟ فقلت : هناك أسرتان : أسرة كبرى وهي نوع الانسان ، وأسرة صغرى وهي المعروفة ، ألستم ترون في الأسرة الصغرى أن صاحب المنزل هو الذى يديره ، وأن الخدم لا اعتراض لهم عليه في الغالب ، وأن أطفاله لا يفقهون شيئاً مما يفعل أبوهم إلا بالتدريج ؟ قالوا نعم . قلت : فهل وجود الأطفال مع جهلهم المطبق بنظام المنزل يعتبر عند العقلاء خللاً وظلماً ؟ قالوا . كلا . بل الأطفال نعمة وعدم وجودهم يعتبر نقمة . فقلت : إن العامة في العالم الانساني يمثل لهم بالخدم ، لأنهم يعملون ولا يفكرون إلا قليلاً ، وأما رب البيت فهو ضرب مثل لصانع العالم ، وأما الأطفال فيمثل لهم بالطبقة الوسطى من المتعلمين الذين ارتقوا عن العامة قليلاً وفكروا في نظام هذه الدنيا ، فهؤلاء أطفال الانسانية ، والأطفال خلقوا ليجلسوا محل آبائهم وهؤلاء هم المتعلمون تعلموا ناقصاً ، فهؤلاء اذا أحسوا بحيرة فهذه الحيرة نعمة لا نقمة لأنهم تدفعهم إلى استيعاب العلوم ليصيروا حكاماً فإذا كسبوا وناموا كما هي الحال عند كثير من المتعلمين الحاليين فانهم لاجرم يحيون حياة كلها اضطراب ، ويرجعون القهقرى ، وتكون الشهوات سلبتهم الوحيدة ، وهذا هو السرّ في تأخر بعض أمم الشرق التي كثرت العلم فيها ولكن لا استقلال لها لأن الرجال القائمين بأمرها يبنون حياتهم على أساس علمي غير مكين ، فهل وجود أطفال الأمم خلل في النظام ؟ قالوا . كلا . لأنهم يبحثون عن الحقائق كأطفالنا . قلت : إذن العميان في مثل المهندس رب البيت ضرب مثل هؤلاء باعتبار نقصهم ، وخلق الناقص المستعد للكمال حالاً أو مآلاً عدل وحكمة وكمال ، فقالوا نعم ، فقلت الحمد لله إذ عرفتم الحقيقة . انتهى

هذا ما كتبه في [حجة المعرفة] تفسيراً لقوله تعالى : « إنا كل شيء خلقناه بقدر » وان أردت أيها الذكيّ الزيادة فاقراً ما كتبه في [سورة الفرقان] عند آية : « وحلق كل شيء فقدره تقديراً » والى هنا تمّ الكلام على اللطيفة الثانية ، والحمد لله رب العالمين .

اللطيفة الثالثة

في قوله تعالى : وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر

يقول تعالى خلقنا كل شيء مقدرًا مرتبًا منظمًا على مقتضى الحكمة ، وقد كان مكتوبًا قبل ذلك في اللوح المحفوظ معلومًا عندنا ، فبني أردنا أمرًا ما من أمورنا التي قررناها في علمنا ، وقدرناها في لوحنا المحفوظ فاننا فعلناه فعلًا واحدة ، ونوجدته بلا معالجة ولا معاناة ، فقدرنا سابق ، وقصاؤنا لاحق ، ولا قضاء إلا وهو مرتب على القدر السابق ، وقولنا [كن] هو القضاء . واعلم أن في أمم الاسلام السابقة قوما يقال لهم القدرية ، وهؤلاء يقولون : « إن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها ، وكل ما في الوجود مستأنف لم يعلمه الله فيما مضى ، ولكنه يعلمها بعد وقوعها لا غير » فهم سموا قدرية لانكارهم القدر ، وقد قال أصحاب المقالات من المتكلمين : إن هذه الفئة قد انقرضت ، ثم قالت طئمة بعدهم : الخير من الله والشر من غير الله ، وهؤلاء كالمجوس الذين يبسون الخير إلى [يزدان] والشر إلى [اهرمن] والخير يرجع إلى النور . والشر إلى الظلمة .

جمال هذا المقال

اعلم أن الله عز وجل عم قس خلقنا أننا لا ينسئ لنا بوقوف على حقيقة التكوين ولا بدائع القدرة ، جعلد نحن اشبه بمنضروب لذلك ، ألا ترى رعاك الله أن هذا [ثلاث مراتب : المرتبة الأولى] العالم كله [المرتبة الثانية] الانسان الواحد [المرتبة الثالثة] القرى الدهنية في الاسان .

هذه هي المراتب الثلاث في الوجود ، فالمرتبة الأولى والمرتبة الثانية من فعل الله عز وجل ، أما المرتبة الثالثة فهي من فعله بواسطة أنفسنا .

جلّ الله ، الله أكبر : المرتبة الأولى العالم كله من العرش إلى الفرش هيكل واحد ، وهذا الهيكل نشاهد فيه أجسامنا وصوراشتي لأقبل لنا بمحصرها ، وهذه الكواكب التي لا يحصرها العدّ ، والمجرات والسدم التي أصبحت تعدّ بالملايين ، وكل مجرّة وكل سديم يحوى من الشمس ومما هو في حكم الشمس ما يعدّ بالملايين ، وتلك الشمس إما كشمسنا أو أكبر منها أو أصغر ، وكل هذه نشاهد لها حركات منتظمة ، وهكذا كل ما على أرضنا ، وما في جوتنا ، وما في بحارنا من المخالقات كاهن ذوات أفعال منتظمة مقدرات منتظمة باعتبار خلقها ، ولا جرم أن هذه الأفعال والصفات والأصباغ إنما كانت بفعل عقل وحكمة فلنسمّ ذلك عقلا عاما ، وهذا العقل العام لا يمكن انكاره ، لأننا نشاهد آثاره المنظمة وأفعاله الجليلة .

أما المرتبة الثانية فهي الأجسام الحيوانية والنباتية ، وأخص ذلك كله جسم الانسان ، فله أفعال إرادية وله جسم كما أن العالم كله جسم وروح .

أما المرتبة الثالثة وهي قوا العقلية التي تحت تصرّفنا نحن فإما تصوّر لنا ما شاهدناه أو علمناه .
ياحببا ياربنا وألف عجب الاتكاد نفسى تتوجه للمجرات ، ولا للشمس ، ولا لحبيب ، ولا لعدوّ حتى يحضر فيها كالمح البصر ، فلندرس هذه القوى التي فينا فإنها كافية لنا في فهم لغز الوجود ، وأنا أحسن بصور لا عدد لها ، صور تضارع صور هذا العالم المشاهد ، فأرى الشمس في مخيلتي مثل ما رأيته عيني ، وهكذا الأرض والسماء ، ومتى تصوّرت صورة حسنة أو قبيحة أو مؤذية أو نافعة ظهرت في نفسى آثارها ، وقد أتصوّر انسانا يؤذيني فأشعر في الحال بغم وتجديد عداوة وحقد وضغن ، وقد يتصوّر المرء صورة ذات جلال فتتهيج شهوته ، إذن الصور الحياتية الحادثة في أذهاننا تبعث نارة على الشهوة ونارة على الغضب ، وهذان عالمان لا منبج لهما إلا خيالنا ، وهناك عوالم أخرى في الذهن ، ولكنى من جهة أخرى أحسن في نفسى بعالم آخر أرقى من هذه العوالم ينهى النفس ويقول لها : اطردى صور الأعداء ، واطردى صور الشهوات ، ويتحكّم في هذه الصور ويقرب ويبعد .

إن في الذهن لصورا كثيرة من فريقى الغضب والشهوة والجمال والشجاعة وأضرابها ، وهذه الصور خاضعة لتأثير مؤثر نسميه القوّة المفكرة أو العقل وهكذا ، إذن هما أمران : أمر هو كالصورة الجسمية ، وأمر هو كالروح ، فالذى هو كالصورة هي الخيالات ، والأمر الذى هو كالروح هو الفكر . ثم ننظر فترى هذه القوى الذهنية لها السلطان المطلق على الخواس ، ومن الخواس البصر ، والبصر يرى الصور على الشبكية فالشبكية هي التي تقيد الصورة وتوصلها إلى القوّة الباصرة في الدماغ فيراها الانسان ، وما الذى رآه ؟ هولم ير إلا صورة مرسومة دلت على صورة في الخارج ، فلم ير إلا حاصل داخل العين ، وهذه الصورة أقرب إلى الروحانية ، وهي دالة على الصورة الجسمية الخارجية : أى إن ما فى النفس مطابق لما فى الخارج ، إذن المعلوم ما ملكته النفس فيها وما فى الخارج مطابق له ، إذن البصر فى لحظة يرى صورة أقرب إلى الروحانية دلت على ما يطاقها ، وهي الصورة الخارجية فى لحظة صغيرة من الزمان ، فلننظر فى سير هذه الصورة فنراها أصبحت فى الخيلة ، وصارت إحدى الصور التي وصفها بأنها صورة مؤذية أو سارة أو شهوية أو عصبية ، ولكنها بعد أن كانت أشبه بالروح وهي فى العين أصبحت الآن فى الخيال كالجسم ، وأصبحت القوّة المفكرة كالروح . وهذا الجسم وهذه الروح اخترعتهما أرواحنا بعناية ربها ، اخترعتهما من العدم ، ليس عند روحى مادة لتصوير صورها ، ولا مادة أظف لتصوير أفكارها ، هكذا فعل الله فى عالمه الكبير ، ولا يعزب عن ذهنك

ماقررناه غير مرتبة وبيناه في [سورة انور] أن هذا العالم لامادة فيه . كلا . إنما العالم حركات في أمر يشبه خيالنا سميها الأثير ، وما هو الأثير؟ هو خيال الكون ، خيال الفضاء ، وهذا الخيال قوئى متين أمتن من المادة ، والحركاب فيه تحدث نقطا كهر بائية ، والنقط الكهر بائية باختلافها كما وكيفا تتسكاثف بنسب مختلفة لاحصر لها فتظهر لحواسنا على هذه الصور المشاهدة ، والا فالحقيقة أن هذه العوالم ماهى إلا أنور مضغوط مكبوس تبدى لعيوننا على هذا المنوال (وبعبارة أخرى) العالم حركات لاغير ، وهذه نظرية [انشتين] والحركات تنقلب نورا ، وهذا النور هو هذه الدنيا ، وتنوع النور يكون جمال لاحد له ذوهجة ، وهذه الصور الحادثات في العوالم منها مايفنعنا ومنها مايضرنا على قياس الصور الذهنية . وملخص هذا المقام ماياتى :

- (١) كما أن الصور الذهنية لامادة لها هكذا الصور التي في خيال الفضاء .
- (٢) وكما أن الفكر مظاهر إلا من أرواحنا بلا واسطة هكذا الأرواح منبعثة من العناية الإلهية خلقا أوليا ، ونظيره في ذلك أفكارنا .
- (٣) وكما أن الصور في الأولى منها مايضرنا ومنها مايفنعنا ؛ هكذا الصور الظاهرة في خيال العالم وهو هذا الفضاء .
- (٤) وكما أنا نحن نتصرف في الصور الخيالية بواسطة عقولنا ، هكذا نحن نتصرف في عوالم المادة من أنواع ما يعطينا منفعة وما يورثنا مضرة كالنحل والزناير .
- (٥) وكما أن فكرنا له الحرورية المطلقة في اصلاح الصور الحاصلة في الذهن أو محوها واحداث غيرها محلها ، كذلك نحن نعمل في أعمالنا المعتادة في الأرض .
- (٦) تشابه العالمان : عالم الأذهان ، وعالم العيان .
- (٧) ومثل ما رأينا في هذين العالمين يحصل في العالم العام .
- (٨) ففي هذه العوالم نفوس وعقول نسبتها إلى هذه العوالم المادية كنسبة أفكارنا إلى صورنا الخيالية وكنسبة عقولنا وقوانا المتصرفة إلى أعضائنا العامة كاليدن والرجلين والحواس .
- (٩) وكما أن نفوسا وأفكارنا نتصرف في صور الخيال التي لانهاية لها ، وفي صور المادة التي لاحد لها فباحولنا ، هكذا تلك النفوس والأرواح العالية تفعل بنظامها في هذه العوالم العالوية والسقيلية بقوانين منظمة مترتبة بقدر وحكمة ويمتد من تلك الحكمة فروع تصل إلى عقولنا فتهدى بها إلى صراطها المستقيم .

(١٠) المادة كلها أنوار بل حركات مضغوطات ومكبوسات ، فأجسامنا وأجسام ماحولنا ماهى إلا أنوار ذات جمال حجبتنا عنه ، وهذه الأنوار حركات في الأثير كما أن الصور المرسومات في أذهاننا أيضا حركات أو أنوار في الأثير ، فنحن نور يعيش في نور .

(١١) خلاصة الخلاصة أن هذا الموضوع كله توطئة لفهم قوله تعالى : « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر » والمقصود الأصلي سرعة اليجاد بعد ارادة الفعل ، وأدى ذلك إلى البحث في أمر الصور الذهنية ، فالصور الجسمية ، فالأرواح والأجسام ، فاللائكة والعوالم كلها ، وفي غضون ذلك برزت صور من علم الأخلاق ومحاربة القوة العاقلة قوتى الغضب والشهوة ، وتنظيم صور لانهاية لها كما يظم العقل التام صور لانهاية لها في العوالم كلها ، وبجهادنا للخلوص من علائق المددة نصل إلى النور الأسمى ، والحمد لله رب العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل . انتهى صباح

يوم الخميس ١٩ نونبر سنة ١٩٣١ م

نور على نور

حضر صاحبي العالم الذي اعتاد مناقشتي في هذا التفسير فقال : إن هذا المقال حسن ، فقد كان قوله تعالى : « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر » وحصر التمثيل بلحم البصر في الآية وتقريب المعاني البعيدة بما نأمله ، سببا آثار هذه العجائب ، وكان لمحم البصر وما يرتب عليه من صور ذهنية وأخرى خارجية مخرجا لما استمكن من العلم ، وموجبا الارتقاء في الأسباب طبعا عن طبق حتى وصلنا إلى مستوى يسمع فيه الأنبياء والملائكة صرير الأقلام المسطرات مقادير العوالم في الملوحة المحفوظ ، ولكن ألا تذكر أن هذا المقام له ارتباط وثيق واثنان ، بل تكميل لما تقدم في [سورة القتال] عند آية : « فاعلم أنه لا إله إلا الله » فقد ذكرت هناك رأى أفلاطون وفيه الكلام على المثل السماء مثلا أفلاطونية ، وأن هذه المثل نبذها أرسطاطاليس بعده وقال إن العلم لا يعتمد إلا على ثابت ولائيات إلا المادة وصورتها ، وأن الرواقين الذين جاءوا بعده وكان رئيسهم [زيون] في القرن الثالث قبل الميلاد ردوا عليه كما رد هوعلى أستاذه وفلوا : أنت لم تبين لما كيف يكون ارتباط هذه المادة بصانع العالم الذي أنت توقن به ، وما المناسبة بينهما ؟ ثم انك تقول : ان المادة مجرد إمكان محض ، وتفعل انها نشأت للصورة ، وهذا كلام لا دليل عليه لأنها اذا كانت مجردة ، كان فأين عشقتها للصورة الذي تدعيه ، وهل هي تعقل ؟ .

فلما رأى ذلك الرواقيون وبعدهم العلماء الذين جاءوا بعد الميلاد وهم الفرع الاسكندري ، والفرع الشامي والفرع اللاتيني نظروا في آراء الحكميين ، فقوم منهم أكووا على العلوم الطبيعية كالتب ، وقوم أكبوا على الرياضية ، وهؤلاء أكثرهم من الرقيقين ، ثم ان هذه العروق الثلاثة بعد الميلاد وفقوا بين الآراء واستخلصوا خلاصة ، واليههم ينسب كل ما وصل الى علماء الاسلام كابن سينا والفارابي والصوفية ، فهذه الحيرة التي فيها وقع القوم بعد الحكميين سبها أنهما لم يوفقا لانتهاج خطة بها يصلان إلى الطريق التي بها يعرفون كيف توجد هذه العوالم من إله لاصلة بينها وبينه ، ولا أفلاطون قدرا ن يبين ، ولا أرسطاطاليس كذلك ، وهما السبب في اختراع الأحزاب فيما بعد ذلك . وقد نقلت من كلام [الاستاذ سبتلانه] المكتوب بخطه في كتابه [تاريخ الفلسفة العربية] أن حكماء أوروبا لم يبرعوا في الفلسفة ولم ينالوا من العلم إلا ما كان من قبيل العلوم الجزئية كالطبيعات والرياضيات ، فاخترعوا وزرعوا وطاروا وحاربوا ، أما العالم الأعلى وعجائب النفس وأصل التكوين التي لأجلها وضعت الفلسفة ، والتي هي المقصود الأصلي لسوع الانسان من أبحاثه فهم فيها لم يسوا بالنسبة لسقراط وأفلاطون إلا كنسبة البقرة إلى الفيل ، وانهم لو عرفوا ذلك مثل هرين الحكميين لم يكونوا إلا ملائكة .

هذا كله تقدم في هذا التفسير في مواضع كثيرة ، وأنت قد رفعت صوتك عاليا وقلت : إلى نوع الانسان كله شرقا وغربا : أيها الناس اذا كان [أفلاطون وسقراط] قد ضرا مثلين لأصل العوالم ، واختلف الأحزاب من بعدهم ، واما كان الاستاذ [كانت] الألماني قد حالف طريقتيهما لما رآها وعمره المسالك ، صعوبة المرتقى ، بعيدة المال . مربكة العقول ، عرج على أن يصل الانسان لصانع العالم من طريق علم الأخلاق وأبان أنه اذا لم يكن هك إله يكون المجرم كالحسن . فأثبت الإله من هذه الجهة الضعيفة ، وقد نقلت أنت ذلك عن مترجم [كتاب الأخلاق] لأرسطاطاليس من اليونانية إلى العربية ، وذكرت أنت أن هذا المترجم الفرنسي (كما تقدم في سورة حم فصلت وهي حم السجدة عند آية : إن الذين قالوا ربنا لله ثم استقاموا الخ جعل أفلاطون في الدرجة العليا والاستاذ [كانت] في الدرجة الوسطى ، وأرسطاطاليس في أدنى الدرجات ، كل هذا ذكرته أنت وأنت في غير ما موضع .

هنا رفعت أنت صوتك عاليا وقلت في [سورة القتال] في رسالة امرأة الفيلسفة مامعناه ملخصا موضحا مشروحا بعبارة أوسع .

أيتها الانسانية : اسمى اسمى : إن أفلاطون وأرسطاطاليس لم تكن الأمم في زمانها لتعقل الحقيقة واضحة ، فأعطيا العلم للناس على مقدار استعدادهم ، وأعطى كل منهما صورة للناس يظن أنها تقبل عندهم ومضى ٢٥ قرنا انتقلت فيها العقول وارتقت الأفكار فاستعدت لقبول الحقيقة .

أيتها الأمم . أيتها الأمم . اسمى اسمى : إن أفلاطون لم يقل المثل الأفلاطونية وهو نائم أو ساه . كلا . أنه لما رأى أن العقول هي الفعالة والمؤثرات وماعادها لآحرك له قال مقالته ورضع فاعده ، ولكن أنا أنبئكم بالحقيقة ، الحقيقة هي أننا لا يتسنى لنا معرفة العوالم الغائبة عنا إلا بما نشاهده في أنفسنا ، وسبب ذلك أن أنفسنا أكل هذا العالم ، هي أرقاه لأنها جعلت العوالم الجسمية والعوالم الروحية ، ولما صور ذهنية وهذه الصور نحس بها ، هي موجودة ، نحن لانكرها ، وهذه الصور لم تكن لها مادة تخلق منها ، ولا وجود لها إلا من أنفسنا ، فلا واسطة بينها وبين نفوسنا ، أفلا نقول هكذا في العوالم ، إن العوالم حركات في ضمير الكون وخيال الفضاء ، كما أن صورنا الذهنية حركات في خيالنا ، فههنا انحلت الاشكال ، وفك العقال .

هذا معنى ما تقدم في غير ما موضع لاسما [سورة القتال] فهل لك أن تفيض في هذا الموضوع هنا لئتم المقام وينتظم شمله ؟ فقلت له : حياك الله أيها الأخ وبياك : ألم تَرَمَّا كَتَبْتَهُ الْآنَ ، ألم أذكر لك عشر رجل هي خلاصة ما ذكرته في هذا المقال هنا زيادة عما سبق . فقال بلى ولكني أريد زيادة تحقيق ، نعم انك في [سورة القتال] لم تذكر إلا الصور الذهنية الخيالية ، وهنا ذكرت الخيالية والفكرية وشرحتهما ، فلتفصل لي المقال بعبارة أوضح وقول أبين ، فقلت : إن كل ما نزاوله من أفعالنا ، ونصنعه في مدنا وحقولنا وبلدنا ونهارنا لا يصدر إلا عما قرره في نفوسنا .

الله أكبر : لاعمى للانسانية إلا الفكر ، لوسلب الانسان العقل لسميناه مجنوننا ، فيصبح ذا غريزة كالحيوان فيأكل ويشرب ويتناسل ، وهو صنوا الحيوان لا يفكر عنده ولا يتميز .

الله أكبر : الأرض وما عليها لا تساوى شيئا مذكورا في نظرنا لولا ادراكنا لها ، إذن الادراك والتعقل هما أصل كل شيء عندنا ، اذا عقلنا فهناك الوجود ، واذا لم نعقل فهناك العدم ، جرد المرء من شهوة الطعام إذن لا يعبأ به ، جرده من شهوة الغضب إذن لا يحارب العدو ، جرده من العقل لا يدري شيئا ، فالادراك هو الأصل ، وماعده تبع ، فالوجود كله لاعمى له إلا إذا أدركناه ، نحن علماء بالادراك ، نحن جهلاء بعدمه العالم موجود عندنا لأننا أدركناه ، غير موجود اذا لم ندركه ، لوجود للألوان اذا لم تكن عيون ، أو كان الانسان أعمى ، لوجود للأصوات اذا كان الانسان أعمى ، لوجود لهما اذا كان أعمى ، لوجود لهذا العالم لمن لم يحس بالخواس ، بعض الموسوسين ، والمرضى بالأمراض العصبية ، ومرض [الهيستريا] يسمعون أصواتا ويرون صوراً لوجود لها ولكنها تعمل فعلها فيهم وتضرهم ضرا بليعا ويموتون ، وأنا شاهدت بعضهم ، وبعضهم يرى صوراً في الظلام ، ومن شدة خوفه يرى صوراً ترعج وهو مستيقظ ولا يشك في وجودها ، يحلم الانسان لصور وأشكال ، وجمال وقبح ، وصدق وعدو ، وحقل وحقل ، وهي عنده حقائق لا يمارى فيها ، ولها في ذهنه آثار ، وله في نفس حياته في اليقظة بعض الآثار ، فبعضها يورث المرح وبعضها يورث خزن الخ دلالة على أن لها وجودا ، والشهس قدر المتخيل باعتبار ما وصل إلينا بالعين لا بحسب الواقع ، إذن الوجود كله الذي أدركناه يرجع إلى ما وصل إلينا في أنفسنا وما تقبلته وتصوّرتة لا غير وان خالف الحقيقة ، فانا إذ أنشدنا المنى لما أدركناه . ونفيس منتهى لاندركه ، نحن في نومنا نوقن بماليس موجود لما

أدركناه ونذعن بعدم ماهو موجود تبعاً لما تصوّرناه ، فالعبرة بأنفسنا لاغير ، ففيها سعادتنا وفيها شقاؤنا ، وإذا تبدى لنفس مايسعدنا فهي سعيدة ، وإذا تبدى لها مايشقى فهي شقية ، والعالم الخارجى أمر آخر غير نفسى فهو صالح للأمرين ، ولوأن الانسان عاش أمدا وأبدا ، وحياته كحياة النائم الذى يرى أنه فى وروضات الجبات ، فهذا النائم سعيد سعادة حقيقية ، وإن كان كل ماآراه لاحقيقة له ، وإن رأى حيات وعقارب وسعيرا وزمهريرا ودام إلى الأبد فهو الشقى شقاء أبديا ، فنفسنا لايسعدنا إلا ماأدركت ، ولايشقى إلا ماآلينا بما هو مؤلم ، فالنفوس إذن أصل الموجود عندنا ، ألبس هذا أيها الأخ الذكى هوالمسرّ الذى وصل إليه قول [أفلاطون] فى أن أصل العالم هوالعالم العقلى ، فإذا كان ذلك هوأب قوستا وهي فروع لنفوس أكبر يدبر هذا العالم أفلاقول : إن النفوس التى اشتقت منها نفسنا هي على هذا النمط ، فهى أصل لوجود العوالم ، والمدار على تلك النفوس لاعلى ماقرّع منها من العوالم ، وماهذه العوالم إلا صور لما فى تلك النفوس العالية لأن المدار عليها كما أن المدار فى الوجود وعدم الوجود إنما هي عقولنا وأرادتنا وهي الحقيقة عندنا لاغير ، فإن كان فى المنام فالحقيقة ماآراه ، وإن كان فى اليقظة فالحقيقة ماآشاهده ، وأصل الوجود هو الأثير والحركات فيه ، واختلفت المناظر باختلاف أحوال الناظر فيها ، وإذا كانت عقولنا ونفوسنا هذا دأبها فلنقل هكذا دأب العقول التى اشتقت عقولنا منها ، وتلك العقول الأولى منزلتها من صانع العالم منزلة أفكارنا من أنفسنا وإن كان هذا مجرد تشبيه لاغير وليس موصفاً للحقيقة ، والتشبيه ماهو إلا ضرب مثل لاغير ، وهذا الذى عوّلتنا عليه إيضاح وتبيان للمسرّ الذى ذكره أفلاطون ، وبهذا الإيضاح سيزول اشكال الأمم فى أصل وجودها لعوالم العلوية والسفلية ، والله هو الولىّ الحميد .

مسامرتان

ولأذكر لك هنا مسامرتين : الأولى عن الامام الغزالي . الثانية عن [اسمرك] يقول الامام الغزالي : لوأبك خبأت كنزاً ثميناً وقبّه أموال عظيمة فانك تجد نفسك به فرحاً مغتبطاً ، ولوأن امراً سرق ذلك الكنز وأنت لم تعلم به سنين عديدة لم يؤثر ذلك فى فرحك بل فرحك به دائم مادمت معتقداً وجوده وأنه ملكك . انتهت المسامرة الأولى .

المسامرة الثانية

ما جاء فى كتاب [مختارات الترجمة] باللغة الانجليزية تحت عنوان « لعاقة التبغ التى تمنع بها اسمرك من غير أن يدخنها » وذلك أنه كان فى [كونيكارتز] وفد حى وطيبس الحرب واشتد الكرب ، وشمرت الحرب عن ساقها ، وعمّ ضررها ، ولم يبق لديه إذ ذاك لعاقة تبغ واحدة ، قال هو بنفسه ما يأتى : « إن قيمة لعاقة التبغ لا تعرف اذا لم يكن لديك سراها وكانت آخر ما تمك من هذا القبيل ، ولم يكن هناك سبيل لنيل غيرها ، وفى [كونيكارتز] لم تكن عسدى إلا لعاقة تبغ واحدة ، حفظتها فى أمتعى ، وحافظت عليها حفظ البخيل على كنز ماله مدة الحرب كلها ، وقد قرّرت فى نفسى أن العسقل يقضى بيفائها وليس من الحكمة تدخينها ، ولقد كنت أحسنّ ، لأجل السعادات ، وأبهى السرّات ، وأعرّ الساعات ، بعد أن وضعت الحرب أوزارها حيناً أتمتع بالنظر إليها وأشاهدها وهي قرّة عين لى ببقائها ، ولكن وأسماه قد وقع ما ليس لى فى الحسان ، ذلك أن فارساً قطعت يدها أثناء الحرب أخذ بهمس ملتصقا ما يسلى نفسه

المسكية وينعش فؤاده الحزين ، فأخذت أفنئس في حقيقتي ، فوجدت فيها القود الذهبية ، ولكنها لاتعنيه شيئاً مذكورا ، ولاتعشش قواه المنهوكه : فقلت له اجلس أنا أعطيك لدافعة التسغ العزيزة لدى ، والتي هي سالوتى مدّة الحرب ، فأشعلت النار فيها ، ووضعت فيها بين شفثيه الواهتين ، هناك تبسم ذلك المسكين فرحا مسرورا شاكرا ، أنا لم أتمتع بلقافة نبع مدة حياتى كهذه اللقافة التي تمتعت بها ولم أدخنها . انتهى

هاتان المسامرتان أيها الأخ الذكيّ تلقيان شعاعا على موضوعا ، شرح الله صدرك للحكمة وأنار بصيرتك بالعلم ، وزين صدرك باليقان ، ومائل هاتين المسامرتين إلا كمثل نورالمصباح يلقى شعاعه على أصل الموضوع الذي أختمه بما يقوله الفلاسفة : « إن الانسان يمضى على الحائط فيقع وما أوقعه إلا وهمه ، وهو يمضى على الأرض في أقلّ من عرض الحائط » ، فاصورالدهية مبدأ الشقاء والسعادة ، فكأن الفكر أصل أعمالنا ، والعالم المللكى الأعلى أصل عوالمنا ، فأصل الوجود للعقول وجميع العوالم إن هي إلا نابعات ، والعوالم كلها أشبه شجرة ، وهذه الشجرة فيها زهرات كثيرات ، والزهرات هي الأبصار التي ضرب بها المثل في القدر فقال : « وما أمرنا إلا واحدة كالحج بالبصر » فالحج الصر كترنح الأرهار على الأغصان ، ووراء الزهرات الثمرات ، كما أن وراء العين العقول والنفوس الأرضية والسموية وترتيب القضاء والقدر ، أفلاتهجب من سرّ القرآن . ١

فقال صديقى : إن هذا البيان عجب ! ولم أسمع مثل هذا السرّ في هذا التفسير . فقلت الحمد لله رب العالمين . انتهت اللطيفة الثالثة في (١٠) جمادى الأولى سنة ١٣٥١ هجرية — (١١) سبتمبر سنة ١٩٣١ ميلادية . انتهى تفسير [سورة القمر]

(تمّ بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثالث والعشرون من كتاب « الجواهر » في تفسير القرآن الكريم ، ويليه الجزء الرابع والعشرون ، وأوله تفسير سورة الرحمن)



(الخطأ والصواب)

غلينا التصحيح ففاننا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وما هوذا :

صواب	خطأ	صفحة	سطر	صواب	خطأ	صفحة	سطر
ندى	قدرى	٦٣	١٢	تخطبتهم	تخطبتهم	٧	٧
الاورار	الاوربار	٦٤	٢٠	الحقوق	حقوق	٣٥	١٠
حاكيت	حكيت	٦٥	٢٥	السماق	السمان	٢٣	١٤
قبل أن يبعث وبعثت له بقية فواعده	فواعده	٦٧	٢١	التمره	التمره	٣٥	١٤
وفى نيته	ومن نيته	٦٨	١٦	ز يريه	ز يريه	١	١٥
وانما	وانما	٧٠	١	التمره	التمره	٨	١٥
فعمزت على تركه	عزمت على تركه	٧١	١٦	ز يريه	ز يريه	١٤	١٥
فسمعت	فعمزنا			ملترقه	ملترقه	١٨	١٥
بل لما	لما	٧٢	٨	شحنها محبوب	شحنها محبوب	١٨	١٥
لغيره	على غيره	٨٣	١٠	التمره	التمره	٩	١٧
الوجه	لوجه	٨٤	٩	التمره - التمره	للتمره - للتمره	١٢	١٧
مغتايا	مغتايا	٨٧	١٣	للتمره	للتمره	١٤	١٧
حتى	متى	٨٨	٦	الكائنات	الكائنات	٢١	١٧
يستجبرون	يستجبرون	٩٧	١٧	التمره	التمره	٢٢	١٧
الفتى	الغنى	١٠٨	٢	واماى	واماى	٢٧	١٧
بدواة	بدواة	١٠٩	١	وأراضى	وراضى	١٦	١٩
خير	خير	١١٢	٥	يفيدان العلوم	فالعلوم	١٤	٢٤
يرين	يزينها	١٢١	٦	العبدان	العصبان	١٤	٣٤
في أنحاء جسمه	في أنحاء	١٢٦	٢٤	٢٦	١٤	٣	٣٥
درجة	درجته	١٢٨	١	١٤	٢٦	٤	٣٥
.....	والاعضاء الرئيسيه	١٣٠	٢٦	في	من	٩	٣٧
نبر بطونهم	لاتبرز بطونهم	١٣٠	٣٤	واذ	واذا	١	٣٨
ان نعتبر	نعتبر	١٣١	٢٨	ولعرفه	ولعرفه	٣٠	٣٩
معى هذا	معى	١٣٣	١٨	فوج - فوج	جاعة - جاعة	٥	٤٦
١٢٨	١٢	١٤٦	٢٢	خوادم	قوادم	١	٥٧
.....	مضارب	١٤٨	٥	ان تسبيح	ان كما يفعل	٢٨	٥٨
١٦	١٣	١٤٩	٦	المخلوقات باللط	تسبيح المخلوقات		
ألف كيلومتر	ألف متر	١٥٥	١٠	كما يسبح العقلاء	باللطف ونحسن		
				وحن لانسمع	لانسمع		

صواب	خطأ	سطر	صفحة
ويكون	ويكون	٦	١٥٦
خزاج حول السن المريضة	خزاجا حول السن المريض	١	١٥٨
الارق	لأرق	٢٨	١٥٩
وفي كتابي	في كتابي	٣٥	١٦١
ترك	ترك	١٤	١٦٢
والمقدار	والمقياس	١٨	١٦٢
٠٠٠	السولة	٢٥	١٦٢
جعل	هكذا	٩	١٦٥
٠٠	جعل	٩	١٦٥
والاقتناء	والاقتناء	١١	١٧٠
المعروف	بالمعروف	١٢	١٨٠
٠٠٠٠	ولسكه	١٩	١٨١
وريشا ولباس	ولباس	٢٢	١٨٣
متحبات	متحبات	٧	١٨٤
تقبل	تقبل	١٢	١٩٥
وحلّ	وحلّ	٢٣	١٩٦
الثور	الثور	٢١	١٩٩
وبعيا	وبعيم	٢١	٢٠١
التمرّ	التمرّ	٢٩	٢٠٣
٠٠٠٠	الرهات	٧	٢٠٤
الدكر والاثني منه	الدكر والاثني	٤	٢٠٥
والحلبان	الجلبات	١٧	٢٠٥
يقدر	نقدر	٥	٢١٠
مثل	قل	٨	٢١٣
ايزوف	ايزدن	١٤	٢١٤
مأنتين	مأنتي	٢٨	٢٢١
لتحليها	لتحليها	٣٣	٢٢٨
اسورة	في سورة	١	٢٣٥

(تم)

فهرس

الجزء الثالث والعشرون

من كتاب

الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صفحة

- ٢ تقسيم [سورة ق] .
- ٣ السورة مكتوبة مشككة كلها .
- ٤ المبحث الأول فيه ثلاث مقامات : تفسير السمة ، ومعنى ق وتفسير الآيات من أول السورة إلى قوله « بل هم في لس من خلق حديد » .
- ٥ وجه الرحة هنا .
- المقام الثاني في معنى [ق] وأن المسلمين علم الله قبل أن يخلق العالم أنهم سينامون عن العلوم عفة وجهالة فرمز لهم هنا بحرف [ق] إشارة إلى القرآن .
- ٧ تفسير الآيات [ق] ، والقرآن المجيد [الح] .
- ٨ الكلام على أنه لاخلأ عند القدماء والمحدثين .
- ٩ المبحث الثاني في الكلام على الموت وسكرته الح .
- ١٣ في هذه السورة ثلاث لطائف : اللطيفة الأولى والثانية في عجائب الأرض والنبات .
- ١٤ حديقة فيها ٢١ نوعاً من الشجر ، وأفايين العر ، محتلمة النمر : النخل ، الرمان ، السق ، الجوز ، اللوز ، التين ، العنب ، الأجاص ، الشمس ، الخوخ ، الأترج ، النارج ، الليمون ، الحبه الحصرأ ، المستق ، السماق ، حب الصوبر : البلوط ، العص ، السرو ، الاهليج .
- ١٥ هاك عشرين حكمة في الشجر والنبات : الحب ، الشجر ، نسج الورق ، الهجم والنوى ، صلابة النواة قشر الحب والنوى ، الحب والنوى ، تقسيم العداء على أجزاء الشجر ، نظام الأوراق ، النمرة في غلافها موارد بين الثمار وبين الأجة ، اعتبر ذلك في أم الأرض ، حب الرمان المرصع ، غذاء الحب في الرمان في حب الرمان أيضا الخلاوة ، عود الرمان ، الطيخ وماعه .
- ١٩ شذرات عامية .
- اللطيفة الثالثة في قوله تعالى : « إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعد » .
- ٢٠ اللطائف العامة في هذه السورة .
- ٢١ اللطيفة الأولى في سر [ال م] في قوله تعالى : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بناها وربها وما لها من فوج » . ونبیان أساد كرميا في أول [سورة آل عمران] المعاني الاشاريه التي أوردتها المتقدمون في هذه الحروف التي في أوائل السور ، وأن [ال م] في أول سورة [آل عمران] خاصة تشير إلى ماهاك من قصة اليهود الذين حرفوا التوراة وكتبوا العلم فأناد الله ملكهم وسلط المسلمين عليهم فاستولوا على ملكهم ، وذلك في قوله تعالى : « ألم تر إلى الدين أرتوا نصيبا من الكتاب » الح وهماك طهر أن المقصود من هذا أن يعتبر المسلمون مما حل باليهود ، إذ اتكلوا على أن الله وعد آناهم أنه

لا يعذبهم إلا تحلة القسم ، وأن آباءهم سيشفعون لهم عند الله يوم القيامة ، فهذا كله قد حصل فعلا عند المسلمين فكسبوا بمدماجهوا المقصود من معنى شفاعة الشافعين ، غروف [ا ل م] تشير إلى المسلمين الحاليين أن أفيقوا من غفلتكم والاحلّ بكم ماحلّ باليهود إذ ذاك ، إذن [ا ل م] في أول [سورة البقرة] مفتاح خزائن علوم كبيرة ، لأن القرآن مبتدأ بالبسملة وفيها الرجعة ، وهي مقدّمة للفاتحة ، والفاتحة مقدّمة للقرآن ، والقرآن في أوّله [ا ل م] و [ا ل م] في أوّل البقرة فتحت بها خزائن علوم الصبر على مكاره القتال ، وعن الشهوات في آية : « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت » الخ فهنا صبر عن شرب الماء وصبر على الحرب ، والخزانة الثالثة في سورة آل عمران وهي ترك الأمانى والأباطيل كما تقدّم ، وهناك خزانة رابعة ، وهي أن يعرف المسلمون تواريخ الأمم التي سكنوا ديارها « ألم يهد للذين يرتون الأرض من بعد أهلها أن لونها أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون » ولقد قرأ المسلمون ذلك ولكن لم يقوموا بدراسة تلك الأمم خلّ بهم ماحلّ بالفرس والروم اللتين سكن المسلمون ديارهم ، وهناك خزائن من العلم أخرى ، ومنها خزائن علوم السموات والأرض المذكورات في هذه السورة إذ يقول الله تعالى : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم »

٢٤ وههنا ورد اعتراض على المؤلف ، وهو أن هذا القول لم يسبقك به أحد ، فانه يؤخذ من كلامك أن المفسر يجب عليه أن يعرف علم الفلك والطبيعة ونحوهما ، وهاهنا صاحب الاتقان قد ذكر (١٥) علما ليس منها ما ذكرته أنت ، إذن أنت مبتدع [وجوابه] أن قول الله كلفه ، وهو قد أبدع السموات والأرضين ، وجعل كل عالم كأنه زهر لما قبله من الأثير والمجرات والسيارات والأشجار والأزهار ، فهذا الانسان له زهر وزهره هي الحكمة التي تلقى على قلبه ، لأنه قد اختص بأنه دائما بين خطي الخير والشرّ وعقله يحكم ويعمل بحكمة ، فتكون علومه ثمرات جدّه ، وهذه هي علم الموهبة الذي في كلام [صاحب الاتقان] وقال به ابن أبي الدنيا الخ فالمتقدمون سهلوا لنا سبل العلوم اللطيفة ، ولكنهم تركوا لنا العلوم التي تورث الموهبة المذكورة ، إذن هذه العلوم تفيدنا الموهبة التي ذكرها ، فأما التفسير بالرأى والهوى فمثل تفسير الروافض : إذ يفسرون البحرين في آية : « مرج البحرين » بعلى وفاطمة الخ . ثم ان هذه العلوم التي تشير لها هذه الحروف كلها فروض كفايات ، واكتفاء المسلمين بقولهم : « الله أعلم بمراده » ينافي قول الله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقصاها » ، عجباً للمسلمين كيف ناموا عن دراسة أم الفرس والروم وغيرهم بعد أن سكنوا ديارهم ، ومن أعجب العجب أن ملوك الاسلام استفادوا من هذه الحروف وأسرارها ، فهذا [محمود خان الغزنوي] لما أرسل خطاب تهديد إلى الخليفة العباسي أجابه الخليفة يقول [ا ل م] ولم يزد على ذلك ، فخار أهل الديوان في ذلك ، فقال القهستاني أتم هتدتموه بالقبيلة وهو يقول [ا ل م] مشيرا إلى : « ألم تريكف فعل ربك بأصحاب الفيل » الخ هنالك ارعوى [محمود خان الغزنوي] وتادّب مع الخليفة ، واذا كان لفعل الله زهرات كما تقدّم من أن كل عالم كأنه زهر لعالم قبله ، هكذا نقول ان قول الله له زهرات كلفه ، وزهرات القرآن هذه الحروف التي بها فتتح خزائن القرآن وقد فتحت فعلا والحمد لله .

٢٦ اللطيفة الثانية في قوله تعالى : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » وذكر مسامرة بنى وبين صدقي لي أذ كرني بما شرحته من عجائب العين وغيرها فيما تقدم ، وتبيان أ - اى هذه الدنيا محموسون عن منظر هذا الجبال الناهر ، لأننا لو أدر كساه لزال عنا كل حزن ، ولكن

١٢ ألف سنة نورية ، وضوءه أكثر من ضوء شمسنا ٦٠٠ ألف مرة ، وبعض النجوم ضوءها أضعف من ضوء شمسنا من ١٥ ألف إلى ٦٠ ألف مرة ، ونجم القطب اشراقه أكثر من اشراق شمسنا ١٠٠ مرة وهكذا نجوم أخرى تقل عنه ، شمس الشموس هو [العيوق] وهو الذي يقال ان نجوم المجرة كلها البالغة ٣٠ ألف مليون نجم تدور حوله ، وهو أكبر من الشمس مليوني مرة و ٤٢٠ ألف مرة ، واشراقه أكثر منها نحو ٥٠ ألف مرة . قطر المجرة ٣٠٠ ألف سنة نورية ، وقطر بعض السدم ٢٠ ألف سنة نورية ، وأخفى السدم يبعد عنا عشرة ملايين سنة نورية .

٤٠ تطبيق أقوال الصلاة على عجائب البصر وعجائب السموات ، يقول المسلم في الرفع « ربنا لك الحمد مل السموات » الخ وهل معنى هذا الامتلاء إلا بأن يمتلئ القلب بالاعجاب بذلك الجلال فيكون الحمد إذ ذاك عن حب باعث له ، وقول المصلئ في سجوده « سجد وجهي الخ » جاء فيه ذكر السمع والبصر ، وههنا يسجد ويقرب ، لأن الدقة واضحة في السمع والبصر ، والنظر للسماء مقدمة للنظر في النفس ، فالمسلم مبتدئ في الرفع ومنته في السجود لشدة اقترابه بمعرفة دقة صنع نفسه ، ليس المدار على عظمة المصنوع بل المدار على دقته .

٤١ تسبيح المخلوقات وشرح الكلام في القرحة وأنها تضبط النور ، وهكذا ذكر ألوان الآساد وغيرها ، وأنها وضعت لحكمة حفظها ، وهذا هو المقصود الحقيقي من التسبيح ، فكل شيء يسبح بهذا الاعتبار ، والناس يجهلون هذه الدقائق ، وهم لا يفقهون تسبيح المخلوقات والله حلیم عليهم . سر من أسرار حكم العين وقرحتها .

٤٢ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى : « والأرض مددناها » الخ وفيها مقالتان : المقالة الأولى في قوله تعالى : « وأبنتنا فيها من كل زوج بهيج » النبات إما وحيد الخلية ، وإما كبير الخلايا ، والخلية لها جدار صلب شفاف في داخله مادة لزجة لها صفات الحياة الست مثل القدرة على تمثيل الغذاء الخ وفي داخل هذه الخلية نواة قد تكون في داخلها (نوية) وهذه الخلية تنقسم انقساماً مباشراً في النباتات الدنيئة ، وانقساماً غير مباشر في النباتات المرتقية ، ههنا شكل ٨ وشكل ٩

٤٥ شكل ١٠ فيه نوع الخلايا وهي هنا ستة أنواع : مثل الخلايا المرتسيمية الخ ، ثم ان النبات ذا الخلية الواحدة تقسم في سورة حم فصلت ، وأما المركب من خلايا كثيرة فهو إما ذوقلقة واحدة ، وإما ذوقلتين ، فالأول مثل البصل والنوم والكراث البلدي والصار والخل والقمح والارز والذرة الشامي وقصب السكر الخ — وذوقلقتين مثل الكرنف والقنيط والفجل والتفاح والطماطم الخ .

٤٧ شرح الساق في الساق ذي الفلقتين مثل [الكيوتين] ومثل البشرة تحته ، وهكذا إلى سبع طبقات ، وآخرها أشعة نخاعية (الطر شكل ١١) و (شكل ١٢) و (شكل ١٣) و (شكل ١٤) و (شكل ١٥) ٤٩ امتحان الساق في ذي الفلقتين ، يظهر في الخلية والملاحية بسهولة ، شرح ساق البات ذي الفلقة الواحدة و٥٥ (شكل ١٦ و ١٧ و ١٨) : الفرق بين نمو الساقين أن أحدهما يزداد في السمك علماً بعد عام وهو دو الفلقتين وبالعكس ما كان ذا فلقة واحدة كاللحل

٥١ وهما (شكل ١٩) فيه الحلقات السنوية . ٥٢ شكل الخشب في أشجار مختلفة (شكل ٢٠) و (شكل ٢١) لبيان الجذور ، وأشكال ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ لأصل النباتات احرارية .

- ٥٤ (شكل ٢٥) للنباتات السرخسية ، ويلبها (شكل ٢٦) الكلام على النباتات المعراة البذور والمغطاة البذور .
- ٥٥ الموازنة بين النباتات ذوات الفلقة وذوات الفلقتين وهي خمس فوارق .
- ٥٥ المقالة الثانية في قوله تعالى « تبصرة » والتبصرة باستنتاج ١٤ حكمة مما تقدم هنا مثل أن الكيوتين لمنع الماء من البخر الخ وهذا الاتقان عام في كل نبات ، وعدد النباتات ربع مليون .
- ٥٧ المقالة الثالثة في قوله تعالى : « وذكرى لكل عبد منيب » وايضاح هذا المقام أن أغذية الأجسام معالومة وأغذية الأرواح ترد عليها من الصور الخارجة الواردة على الحواس الخمس في كل زمان وهذا غذاء روحى والناس لا يعلمون ، فإذا فارقوا الأبدان دامت تغذيتهم به .
- ٥٨ التسبيح والتحميد : والكلام على التسبيح والتحميد من المخلوقات أهو بالمعظم بالمعنى ؟ والحق أن الاختلاف راجع لجهل الحقيقة ، إن الإعجاب بتلك الحكمة العالية في العوالم هو نفس التسبيح فاهو القول إذن ؟ والتسبيح يلزمه التحميد ، وليس يمنع هذا قول الشيخ السباغ : ان المخلوقات تسبح ، وقد سمع هو تسبيحها ، فهذا ليس أعلى التسبيح .
- ٦١ جمال العلم وبهجة الحكمة في الكلام على وادى الموت بأمرىكا ، فسكل من دخله مات من حرارته وعلى غور الشيطان بأمرىكا أيضا وعمقه ١٧٥ مترا ، وذلك بسبب جرم سماوى صنعه ، ثم الكلام على الجليد والفحم القطبي .
- ٦٢ ههنا ثلاث جواهر : فى آية : « وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » . وفى آية : « وذكرى لكل عبد منيب » . وفى آية : « ما يلفظ من قول إلهيه رقيب عتيد » وفى الأولى ان تلقيح النبات ذى المسكنين يمكن أن يكون من مكان بعيد ، وفى الثانية أربع عجائب فى خلق النبات ، وفى هذه النايبة إتمام الكلام على آفات اللسان ، ممسك السخرية والاستهزاء ، وذلك من كتاب [إحياء علوم الدين] للإمام الغزالى ، ومثل إهشاء السر ، ومثل الوعد الكاذب ، ومثل الكذب فى القول واليمين .
- ٧٢ بيان مارخص من الكذب ، كمن يكذب للصلح بين اثنين .
- ٧٤ بيان الخذر من الكذب بالمعارض .
- ٧٦ الغيبة والظفر فيها طويل .
- ٧٩ بيان معنى العيبة وحدودها .
- ٨٠ بيان أن اعيبة لا تقتصر على اللسان .
- ٨٢ بيان الأسباب الباعة على العيبة .
- ٨٥ بيان تحريم العيبة بالقلب .
- ٨٧ بيان الأعذار المرخصة فى العيبة .
- ٨٨ بيان كفارة العيبة .
- ٩٠ الخيمة .
- ٩١ بيان حد الخيمة ومايجب فى ردها .
- ٩٣ كلام ذى المسامين .
- ٩٥ آفة المدح .

- ٩٦ بيان ماعلى المدوح .
- ٩٧ الآفة التاسعة عشرة : الغفلة عن دقائق الخطأ فى غوى الكلام .
- ٩٨ الآفة العشرون : سؤال العوام عن صفات الله تعالى ، وعن كلامه ، وعن الحروف أهى قديمة أم محدثة ؟ .
- ٩٩ وههنا شذرات من كتابنا [جوهر التقوى] من الحسد وأسبابه .
- ١٠١ الثبات والعزيمة ، والصبر وأنواعه ، والعفة والشجاعة ، وكنم السرّ وافشاؤه ، والقناعة والمشره .
- ١٠٧ (١٣) سؤالاً للتطبيق على الأخلاق المتقدمة ، الكرم والبخل .
- ١٠٩ اللطيفة الخامسة فى قوله تعالى : « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد » وأن هذه الآية معجزة فى البلاغة ، فان أحد المستشرقين مع أديب مصرى عجزاً أن يأتي بما يضارعها فى وصف جهنم ، وهذا عجب عجاب ! وههنا موازات بين علم الأدب عند طبع هذا التفسير فى بلاد الاسلام ، وبين الأدب أيام تعلمنا بالجامع الأزهر ، وأن علم الأدب ارتقى اليوم جداً .
- ١١٣ ﴿ سورة الذاريات ﴾ مكتوبة مشككة كلها .
- ١١٤ تفسير البسملة ، وبيان غفلة الانسان فى هذه الأرض .
- ١١٦ القسم الثانى من السورة فى تفسيرها اللفظى من أوها إلى قوله « لعلكم تذكرون » .
- ١١٩ القسم الثالث من السورة فى تفسير الآيات من قوله تعالى : « ففرّوا إلى الله » إلى آخر السورة .
- ١٢٠ لطائف هذه السورة ثلاث : اللطيفة الأولى والثانية فى مبحث علمى ومبحث أدبى ، والعالمى يرجع الى أن [ق] جىء به مذكراً للسلعين بعد غفلتهم فى زماننا ، والأدبى يرجع إلى الموازنة بين أقسام العرب وأقسام القرآن فان أقسام القرآن عجيبة لم يقلها عربى .
- ١٢٥ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى : « فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون » .
- اللطائف العامة فى هذه السورة ، وأولها فى قوله تعالى : « وفى الأرض آيات للموقنين » الخ .
- محاورات بينى وبين صديقى العالم الذى اعتاد محادثتى فى هذا التفسير .
- الفصل الأوّل فى ملخص ما تقدم فى ﴿ سورة الفتح ﴾ لمناسبة قوله تعالى : « وفى السماء رزقكم وما نعدون » .
- الفصل الثانى فى علاقة أجسامنا بعالم السموات ، وما يتبع ذلك من طول العمر وقصره ، وفى التعبير وأسبابه ، وفى هضبة الحياة والعوامل التى تعمل فيها ، وفى منحدر الحياة ، وفى أسباب الشيخوخة والموت ، وفى مندرات الشيخوخة ، وفى العدد التناسلية ، وفى تجديد الشباب ، وفى وسائل التجديد وإطالة العمر ، وفى هذا المقام شرح الجهل الذى كان فاشياً قديماً عند رجال الطب الذين كانوا يأمرّون الشيوخ بكثرة التعذى فظهر أن ذلك قاتل لهم ، وشرح الحمام الشمسى وفوائده ، وغير ذلك من الفوائد التى يجب الاطلاع عليها والعمل بها لتسكون الحياة سعيدة ، ومن أهم تلك التدابير النافعة كثرة التنفس العميق فى الهواء الطلق ، فانه يحدث قوّة لكل عضو من الأعضاء .
- ١٤١ اللطيفة النامية فى قوله تعالى : « وفى أنفسكم أفلات تبصرون » وما بعدها ، وبيان بدائع الحساب من الجذر والربيع والجمع والطرح فى الأعداد (١ - ٢ - ٣ - ٤ الخ) وكيف كانت أنواع الحساب المذكورة فيها يستخرج بعضها مشكلات سبعة الزوايا بينها التلوّم ونظام عجيب كأمرها جبات فيها تحجيل وأعنان ،

وهناك يساوى مربع الوتر مربع الضلعين الآخرين ، وهذه من عجائب نفوسنا ، وههنا الكلام على النسبتين العديدة والهندسية ، وكيف أمكن أن يجعل من كل منهما وفق بحيث يكون جمع أو ضرب أى صف أفقى أو رأسى أو قطرى مساويا لباقي الصفوف الرأسية والأفقية والقطرية ، وهذا غاية العجب وكل هذا من عجائب نفوسنا ، وهكذا يستبين العدد الكامل والناقص والزائد والأعداد المتحابة ، وذلك كله باعتبار مضارب الأعداد ، فان ساوت المضارب نفس العدد فهو كامل ، وان زادت فهو زائد ، أو نقصت فهو ناقص ، وان ساوت مضارب عدد عددا آخر وكانت مضارب ذلك العدد مع العدد الأول كذلك سعى العددين متحابين .

١٤٨ إن أمر نفوسنا عجب ! انها عرفت أن من الكسور ما لانهاية له ، ومنها ما له نهاية ، والأول كسور دوائر مركب أو بسيط ، والثاني ليس بدائر ، وسير الكواكب كالكسر الدائر المركب ، وعدم نهاية أجزاء المادة كالكسر الدائر ، وكذلك عدم تناهى العوالم ، وههنا تعجب المؤلف من المثليين المتقدمين ونظامهما العجيب ، ويقابل ذلك كله التشریح ونظام الأمم .

١٥٠ الفصل الثانى فى حدائق العلوم التى تفتى الناس ظلالها من علم الفلك والطبيعة ، وظهور غاية الدهش من حساب الأحجار الساقطة فى نظام سرعتها ! وكيف دخل فيها الجند والتربع الخ وهكذا نظام أوراق النبات .

١٥٢ (شكل ٢٧) و(شكل ٢٨) يمثلان نظام أوراق أمثال شجر التفاح الذى يرجع إلى كسر بسطه عدد (٢) ومقامه عدد (٥) والأول للأشكال الحلزونية فى الدائرة الواحدة ، والثانى لعدد أوراقها ، وكيف كانت الورقات الخس فى الدائرة بينها مسافات متساوية ٧٣ درجة من محيط الساق وهو دائرة تامة

١٥٣ الفصل الثالث فى أن الأمم وان استظلت بظلال تلك العلوم فى حياتها لم تجن ثمراتها .

١٥٤ الانسان لم يدرس حقائق السياسة كما درس أحوال الحياة .
لطيفة فى قوله تعالى : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

١٥٥ [الشذرة الأولى] فى كريات الدم الحمراء [الشذرة الثانية] فى بعض المنافع الطبية والمحافظة على الأسنان وتنظيفها ونحو ذلك ، وأن الأسنان الذهبية فائدة لنوع الانسان ، وأن الأسنان لا بد من تسويكها ، واللثة لا بد من تنظيفها بالأصبع لا بالسواك .

١٦٠ الشذرة الثالثة فى أمر النفس وعجائبها ، وبيان أن الحقل هو الكلية الأولى لعلم النفس ، ذلك أنى كنت أفكر فى أمر النفس وأنا فى الحقل ، ولم يكن أمامى إلا السماء من فوق والأرض من أسفل والناس حولى ، فهى هكذا : عالم علوى ، وعالم سفلى ، ونفس الانسان ، وجميع المحلوقات على الأرض ملحق بها ، ثم قرأت علوم الأزهر ونظرت فى كتب الفلاسفة المتقدمين ، ثم فلاسفة أوروبا ، فوجدت المتقدمين جعلوا العلوم هكذا : رياضيات ، طبيعيات ، إلهيات ، والطبيعيات هى سماع الكيان والسماء والعالم ، والسكون والفساد ، والآثار العلوية ، والمعادن ، والنبات ، والحيوان ، والانسان . ثم هم يقولون إن للنفس ثلاث قوى ، ثم يأتون بعد ذلك بالعلم الأعلى وهو خمسة علوم ، وهذه كلها مع الرياضيات ومع تهذيب الشخص ونظام الأسرة ونظام الأمة تبلغ ١٧ علما ، ولها فروع كثيرة ، وجاء [يكون] فقال أنا أجعل مبدأ التقسيم نفس الانسان مخالفا مذهب المتقدمين ، فاعتبر القوة الخيالية والمفكرة والحافظة وجعل نظام الطبيعة ونفس الانسان والذات العلية للقوة العاقلة ، ونحو الشعر للقوة الخيالية ، ونحو التاريخ

- ١٦٠ للقوة الحافظة .
- الكلام على آراء [اخوان الصفاء] في هذا المقام ، وعلى مافى جمهورية أفلاطون فيه ، وهو مفهوم في مواضع كثيرة من هذا التفسير وينحون نحو هذا الترتيب بعينه [كوفنشيوس] الصبني .
- ١٦٨ فصل فيما جاء في علم النفس الحديث .
- ١٦٩ نظرة عامة في علوم النفس عند القدماء والمحدثين ، والكلام على كتاب [ساوك المالك] في تدير (للمالك) مثل أن الرذيلة لها دواء كالشره والمحب وأنه لا فرق بين دواء المرض بضده ، ومداداة الرذيلة بضدها تبصرة وتذكرة في آية : « وفي الأرض آيات للوقنين » الخ وههنا (شكل ٣٠) للمخ الانساني ، وأنه منقسم إلى قسمين كل قسم منهما أربعة فصوص وكل فص من هذه الثمانية ينقسم إلى أقسام أخرى على حسب التلايف .
- ١٧٣ (شكل ٣١) مقطع جانبي للمخ بين الألياف الرابطة ، وبيان الألياف الضامة والألياف المسترة والألياف الموردة ، ويوضح ذلك أيضا (شكل ٣٢) .
- ١٧٤ (شكل ٣٣) مقطع في اللحاء .
- ١٧٥ وظائف المخ ، مناطق اللحاء ، وههنا مناطق عجيبة موزعة على أعضاء الحس وعلى أعضاء الحركة ، فترى للسمع والبصر والشم والذوق مناطق في مؤخر الدماغ ، ولكن حاسة اللمس لها منطقة موازية لشق (رولندو) من خلفه موزعة على ظواهر الجسم من القدم إلى اللسان في الوجه من الظاهر إلى داخل المخ ، وفي مقابل هذه المناطق الموزعة على ظواهر الجسم من اللاحية الأخرى من شق رولندو مناطق أخرى للتحرريك بترتيب المقابلة لها التي للاحساس ترتيبا تاما ، وهناك ثلاث مناطق في المقدم والوسط والمؤخر قد جعلت لنظام تلك الحواس ، فهى أشبه بالحكماء في المدن .
- ١٧٧ مراكز اللحاء في المخ أربعة : مركز الكلام والكتابة ، وادراك الألفاظ المسموعة ، والألفاظ المكتوبة وبين هذه الأربعة اتصال ، وكلما كانت كلها متعاونة كان الفهم أسرع ، وذلك نافع في علم التربية في المدارس .
- ١٧٨ المخيخ : وظيفته تنظيم حركات الجسم ، ومتى عطل كانت حركات الانسان غير مضبوطة ، فهو نظير المناطق الثلاثة في المخ التي تتحكم بين الحواس المختلفة وتنظمها .
- نظرة عامة على هذه المشاهد في علم النفس : اعلم أن أعصاب الحس وأعصاب الحركة مشابهاة للتيارات البحرية من حيث التعاون والاتحاد في العمل والمصلحة ، وكما أن الانسان لا سعادة له إلا بانتظام هذه الأعصاب وأنواع الاحساس والحركة بسبب انتظام مخه وحسن تقسيمه هكذا النوع الانساني لا سعادة له إلا بانتظام جميع قوى عقوله المختلفات وتعاون الجميع .
- ١٨٠ والمسامون خير أمة أخرجت للناس ، فعليها أن تقوم باسعاد الأمم كلها بهذه السعادة ، وههنا يظهر للعاقل أن هذا الكون كله كلمات الله ، لأن كل ضوء ، وكل مادة ، وكل حيوان ونبات ، والسماء والأرض ماهي إلا حركات في الأثير فان كانت الحركات ضعيفة كحركات صوت الانسان لم تعرف إلا بأسماعنا ، وتبلغ في نهايتها (٣٢) ألف حركة في الثانية وان كانت الحركات أقوى حدث بسببها إماضوه وذلك بسبب ٤٠٠ مليون مليون حركة في الثانية إلى ٧٠٠ مليون مليون حركة في الثانية ، وأما موادنا نشاهدها ، وذلك بسبب ٦ آلاف مليون مليون حركة في الثانية الواحدة ، إذن الحركات الضعيفة تحس بها آذاننا ، والحركات القوية تحس بها بقية حواسنا ، إذن الكون كله حركات ، وهذه الحركات كلمات ، وههنا حديث طريف ، ذلك

أن الطفل في لعبه يحكي أعمال أجداده ومستقبل عمله كما أن الجنين يمرّ على أدوار كل حيوان تقدّمه من أوّل خلية إلى أعلى حيوان .

١٨٢ جوهرة في آية : « ومن كل شيء خلقنا زوجين » وبيان أن القرآن يسمع المخاطبين ما تقبله عقولهم وليست الأمثلة التي فيه حاصرة لما يجب علينا ، وعلى العقول التفكير في كل شيء ، وبيان مشاهدته من العنزات ، وأن ذبوظنّ صرّفات ، والله منع الذكر بالغريرة أن يقرب الأنثى بعد الضراب ، فالإنسان حرّ لأنه سهل له سبل كل شيء ، وعقله هو الذي يحكم ، وكما أن الرجل لا يترك الشهوة إلا بعقله ، والتيس ترك ضراب العنز بالغريرة ، هكذا الأمم الأمريكية والانجليزية الذين يمنعون السود أن يجلسوا معهم في مكان واحد يعوزهم عقل يرشدهم ، ودين يذكّرهم ، وهذه العنزات أحبّ الأبيض منها الأسود وغيره بالغريرة ، فالإنسان في سياسته الشخصية وسياسته العامة يعوزه مقوم من الخارج

١٨٥ أقسام المملكة الحيوانية وأنها إما وحيدة الخلية وإما كثيرة الخلايا ، ولكل منهما أقسام وهي أربعة في الأولى ، وأقسام كثيرة في الثانية مثل القرية وأقسامها الخمسة ، والخامس منها ثمانية أقسام مثل اللاققرية وأقسامها الثمانية .

١٨٦ الأميبا (شكل ٣٥)

١٨٧ القسم الثالث من وحيد الخلية : البوجلينا (شكل ٣٦) الحيوانات الجرثومية .

١٨٨ حوصلات الماربا المعدة (شكل ٣٧) و (شكل ٣٨) حيوان الاسفنج .

١٨٩ اسفنج الحمام (شكل ٣٩) . (شكل ٤٠) أخطبوط

١٩٠ (شكل ٤١) نجم بحري يفترس محاراً .

١٩١ (شكل ٤٢) قطاع عرضي في النراع .

١٩١ (شكل ٤٣) السودة السكبديّة الكاملة .

١٩٢ (شكل ٤٤) دودة البلهارسيا (شكل ٤٥) دودة الانكلستوما .

١٩٣ القسم السادس من الحيوانات عديدة الخلية ، والقسم السابع منها وهي التي لا فقرات لها ، وهنا شكل ٤٦ و٤٧ و٤٨ و٤٩ و٥٠ و٥١ أما ٥١ فذلك في القسم الثامن من الحيوانات عديدة الخلايا وهو القوقع الروماني و٥٢ في بلح البحر مدفوناً .

١٩٥ بهجة الحكمة في هذه المناظر الحيوانية . يقول المؤلف : إن هذه الرحة لاحدّها ورحتنا نحن جزء منها ، وههنا يذكر المؤلف تلك الخلايا في أوراق الأشجار كما تقدم في [سورة يس] ويدكر أن خلق نوعين من الحيوان ضارّ ونافع معناه أننا أحرار في عملنا ، فالولم يخلق غير النافع لم تكن لنا حرّيّة ، فالحرّيّة تتبع خلق الضدين ، وهذه ميزة هذا الإنسان .

١٩٩ زيادة إيضاح « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » . يقول المؤلف : إن الدنيا جال ونحن محجوبون عنه ، فكأنّ الناس عمى أمام العادات الحسان ، صمّ لا يسمعون أبهج العمات ، ويقول المؤلف : انه يحسّ عند كتابة هذا الموضوع بسعادة لاحدّها .

٢٠٢ مسامرة في آية : « وفي السماء رزقكم وما توعدون » وفيها الكلام على تقسيم النبات أيكون بالشجرات والشجيرات والأشحم ؟ أم يكون بأنه ذوسة أوسنتين أوسنين ؟ وكلاهما لا يفيد بل المفيد أن يكون التقسيم بالزهر ، إن المدهش أن يكون ثبات النظام الزهري هو الذي كان به التقسيم كما كان

- ثبات سير المشرفات العلوية سببا في تقسيم الزمان .
- ٢٠٤ وهذا معنى هذا العنوان : « الزهرات تنوب عن النجوم في بعض آثارها » .
- ٢٠٥ ومن الفصائل الفصيلة الحضرية كالقول وجميع أوراق زهرها خمس لاغير ، وهي من ذوات الفلقتين التي لا يخرج ساقها عن أن تكون مخروطية الشكل ، فأما ذوات الحلقة الواحدة كالنخل فان ساقها اسطوانية الشكل .
- ٢٠٥ الكلام على العصيلة الوردية ، وفيها التفاح والبرقوق الخ فالكأس خمس والتويج خمس ولكن أعضاء الدكور كثيرة جدًا ، بخلاف ما قبلها فعددهن عشر لاغير .
- ٢٠٦ الكلام على اتجاه العقول الاسلامية ، فانك ترى موشحة الوزير أبي عبد الله بن الخطيب شاعر الأندلس هكذا : * جادك النيث إذ النيث هما * الخ فهؤلاء في ناحية والقرآن في ناحية .
- وزير فرنسي يؤلف في عجائب صنع الله ، ونظيره في الأندلس يقصر شعره على الوصل والهيام .
- ٢٠٩ ويتبع هذا الكلام على العلويات الآتية في ﴿ سورة الملك ﴾ وذلك أنه يستخرج من ضوء الشمس وسيره هناك كيف ترى الصورة في المرآة معكوسة ، ولماذا هذا ؟ وكذلك تعرف هناك العدسات والمكروسكوبات والتلسكوبات والماطر وأضواء الشمس السبعة ، وكيف يمكن استخراج النار بالعدسات الثلجية في الأقطار الشمالية .
- ٢١١ تفسير سورة الطور ، هي مكتوبة مشككة .
- ٢١٢ تفسير البسملة : ان اتجاه الرجة هما أن الكمال بعد القص كالجنة بعد ذكر النار ، وكوضوح الحجة بعد المقدمات .
- ٢١٣ القسم الثاني : ذكر العذاب والنعم في التفسير اللفظي لهذه السورة إلى قوله : « انه هو البر الرحيم »
- ٢١٥ القسم الثالث من أول « فذكر » إلى آخر السورة .
- ٢١٦ لطائف هذه السورة .
- ٢١٧ اللطيفة الأولى في قوله تعالى « والطور » .
- اللطيفة الثانية في قوله تعالى : « والبيت المعمور » وبيان أن هذه الأقسام كلها تمت بصلة إلى ما نحن عليه الآن من العلوم المنشورة ، واشراق القلوب ، وظهور نار في باطن الأرض كشفها الناس الآن ، وهي البحر المسجور ، والكلام على « الضراح » الذي يقال ان حرمة في السماء كحرمة الكعبة في الأرض ، وأن هناك ملائكة يصلون إليه كل يوم ولا يعودون أبدا ، ومن عجائب هذه الآيات انتشار التعليم اليوم شرقا وغربا ، وكذلك [الراديو] والتلغراف السلكي والذي لاسلك له ، وانتشار الجرائد وهكذا ، فهذا كله يوحى إليه الرق المشور .
- ٢١٨ نتأج هذه المعجزة القرآنية في بعض الموس ، فالجهة والكسالى يفرحون بأنهم عرفوا أن ديننا حق ويقفون عند ذلك الحد ، والعارفون وأرباب النفوس الكبيرة هم الذين يأخذون بيد هذه الأمة إلى رقيها فيما تشير إليه هذه الآيات .
- ٢١٩ تفسير سورة النجم ، هنا كتبت كلها مشككة .
- ٢٢٠ تفسير البسملة ، و بيان أن الله أقسم بالنجم وأعظم أمره فقال : « وانه لقسم لوتعاهون عظيم » لأنه يعلم قس نزل القرآن أن النجوم هي التي عليها مدار سير السفن في وسط البحار الكبيرة بعالم

الملك التي لا يفقهها على حقيقتها غير ربان السفينة ، وبيان أن النجم في وسط السماء لا يدل على طريقه
ولكنه اذا هوى يدل دلالة صادقة ، وبيان أن ذلك ارشاد لأكثر السامعين الساهين اللاهين ليذكرهم
بما ظهر الآن من عظمة النجوم وسرعة ضوئها ، وأن سرعة الأمواج التي لاسلك لها تجرى كجوى
النور حول الأرض في سبع ثمانية مرة واحدة ، وتجرى حول الكون كله في مائة مليون سنة ،
وقد علم أن الأرض لو صغرت كجوهر فرد لصار الكون كله مصغرا مثل الأرض ، وعلى مذهب النسبية
يكون ألف مليون أرض ، وفي المجرة (٣٠) ألف مليون نجم ، ويقول [هارفرد] مائة ألف مليون
نجم ، والسدم اللولبية أقربها إلينا بعده ثمانمائة وخمسون ألف سنة نورية ، وفي السديم الواحد مادة
تكفي ألني مليون نجم . ويقول [هيل] : « إن التلسكوب الآن يستطيع معرفة مليونين من العوالم الجزرية
وكل واحد يبعد عن الآخر مليونين سنة ضوئية ، ولكن اذا تمّ التلسكوب الجديد يصل المعلوم منها
١٦ مليوناً بديل مليونين ، وهما بيان عمر الشمس ، وعمر الأرض ، وعمر الحياة عليها ، وعمر الانسان
الذي عاش عليها ٣٠٠ ألف سنة ، وبيان أن جميع الكواكب تبلغ ٢ على مئتها ٢٤ صفراً .
محاوره بينى وبين عالم ، وفيها الكلام على أن كل علم لا بد له من تمرين ، والتمرين على علم الدين
بالعبادة المذكورة في آخر ﴿سورة الطور﴾ ثم تمام العلم المذكور في ﴿سورة النجم﴾ : « ولقد
رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى » ومتى انتهى الانسان في العلم أفاض على غيره ، وهذا قوله :
« ماضل صاحبكم وماغوى » .

- ٢٢٥ لماذا وجب المران في كل شيء ؟ وبيان أن المادة نفسها عبارة عن حركات كثيرة انضمت فصارت
مظاهر مختلفة ، فإذا كان أصلها الحركة فلن يستخرج نتائجها إلا الحركات ، وذلك هو التمرين .
٢٢٦ مقدمة في مناسبة السورة لما قبلها ، وبيان أن التصدي لارشاد الأمة يفغني له أن يقوم بالليل
ويفعل ما هو مذكور في آخر سورة الطور ليقبل الناس قوله .
٢٢٧ القسم الثاني في التفسير اللفظي للآيات من أول السورة إلى قوله تعالى : « لقد رأى من آيات ربه
الكبرى » .
٢٢٩ وهما تفسير الآيات من قوله : « أفرأيتم اللات والعزى » إلى آخر السورة .
٢٣٣ لطائف هذه السورة .

لطيفة في قوله تعالى : « والجم ادا هوى » وهما مذكرة واسعة النطاق بالآيات التي في آخر سورة
الطور ، وبما في أول سورة النجم ، وبيان أن الحمد المذكور في آخر الأولى لن يتم إلا بالمعارف ، وهذه
المعارف ظاهرة فما رآه صلى الله عليه وسلم في السماء من آيات ربه الكبرى ، فهكذا فلنكن حياتنا
نسخ وحمد وانكن نحمد في المعارف حتى يكون جدنا حقاً الخ .

- ٢٣٤ ثمة هذا المقام في أم الاسلام ، وبيان أن هذه المعارف التي لا يتم الحمد إلا بها تكون للأنبيا
بالتعليم ، وانكنها لا تكون لنا بغير تعليم ، رأى صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ويقول إن ما وراءها
لا يعرفه أحد ، إذن المعارف الشائعة الآن في الشرق والغرب مباحة ولم تقف فلماذا تقصر فيها ، ونسنا
صلى الله عليه وسلم قدوة في جميع المعارف ، لأنه وصل إلى نهايتها ، ونحن قد نمنا في أولها .
٢٣٥ اللطيفة الثانية في قوله تعالى : « وأه هوأضحك وأسكى » الخ ، وهما سؤال يرد على المؤام ،
وهو كيف يهلك الله الامم ونحن يحرم علينا قتل رجل عمداً تدخل به النار المؤبدة ؟ وهل إهلاك الامم

هو الودّ الذي اتصف به [ودود] وبيان أن الجواب على هذا سيأتي في ﴿سورة الحديد﴾ وهناك استقرار الظام التكويني والتشريحي ، ودرجات التربية ، وتربية الأمّ لولدها ، وتربية الأب له والمعلم والحكومة ، وتربية الإله ، وحادثه الزلازل في الأرض كما تمنع الأمّ ولدها عما يشتهي وهو يضربه ، وبيان أن العلم إما سطحي كالشعر واما حقيقي ، وأن الحب على مقدار العلم ، وأن الله توارى عنا ولكنه قدف لنا كرات نراها كل صباح وكل مساء .

٢٣٧ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى : « وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى » وفي هذا المقام وصف ماشاهده المؤلف وهو خارج من القاهرة إلى مزرعته بقرب المرج ، وأن روحا تمثل له في خياله وأخذ يقصّ عليه قصص عوالم الأثير الذي تجرى فيه الكواكب والأضواء ، وأنه عالم يحمل من الأثقال مالاتحمله أيّ مادة مع أنه هو ليس مادة ، وبيان أن كل إنسان وحيوان مغمورون في جبال بديع لا يعرفون كنهه ، وأن الشمس والكواكب ترسل الأنوار ، وهكذا هناك عوالم روحية وهم الملائكة يرسلون أنوارا عقلية وتعلما لكل حشرة ولكل حيوان وإنسان ، إذن السورحسي ومعنوي ، وليست تأخذ النفس من العالم العقلي إلا على مقدار طاقتها كما لا يأخذ الجسم من الأصواء إلا على مقدار مساحته .

٢٤٠ حيرني وفراق لتلك الروح الجميلة ، والكلام على الهواء والضياء والقوى العسكرية وفي العذاب والمخ الخ وبيان أني لما أفقت من غشيتي تذكرت أن تفسير هذه الآية لم يتمّ فإذا أصعب ذلك لأنني إلى الآن لا أفهم لماذا بذكر الله النشأة الأخرى بعد ذكر الزوجين الذكر والأنثى وأيّ مناسبة ؟ وإذا كان الله في ﴿سورة الأنعام﴾ يقول : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » وأعقب ذلك بأنه يجمع أيوم القيامة ، فهل الذكر والأنثى رجلة ؟ وكيف تكون رجلة ومحن يرى المحارمى البحار تلد الواحدة منها الآلاف والآلاف بلاهجر ولا بقعة ولا عذّة ، بل نفس الذكر هونفس الأنثى ، ونحن نرى نبي آدم معذبين بهذه الذكر والأنثى ، فهل هذا العذاب ينتج لنا رجلة . وحواب ذلك أن الذكر والأنثى والأنثى مدرسة لتعليم الجمال والحب والوصل والعراق حتى تتمرن النفس على درس الجمال ودرس الحب ولن تتمّ السعادة بعد الموت إلا بعشق وشوق وغرام إلى الجمال الأعلى ، وبهذا ترتقى النفوس شيئا فشيئا ، إذن هذا درس مدنيّ لنوع الانسان ، وفي هذا الدرس تمرين على الصبر والصبر والفراق ، وذلك يعطى النفس قوة فترتقى في ذلك العالم الجميل ، وفي هذا المقام ماراولة المؤلف من قطع [الكهري] من النحلة وكيف معته السلاء عن ذلك ، وكيف كانت الذكر والأنثى هاتمت بصلة إلى موضوع الآية ، وبيان أن الله حفظ الذكر في النخل بالسلاء كما حفظ ورق السنط بالشوكات معها .

٢٤٦ ﴿سورة القمر﴾ مكتوبة كلها مشكّلة .

٢٤٧ تفسير البسملة وبيان أن الأنوار ظهرت الشمس والقمر والنجوم فلم يفقه معراها أكثر الناس ، فأعطاهم مدارج من التاريخ كتقوم عاد ونوح الخ حوادث الأولين هداية للآخرين ، ومتى درسوا نظام هذه الدنيا أدركوا معنى آية « إياكل شيء خلقناه قدره » وأقرب الناس إلى ربهم العارفون ، وسواهم لهم مراتب على مقدارهم .

٢٤٨ التفسير اللطيف للسورة كلها .

٢٥٢ المائتم هذه السورة : اللطيفة الأولى في قوله تعالى : « ولقد بسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر »

٢٥٨ المائتم الثانية في قوله تعالى : « إياكل شيء خلقناه قدره » فيها معنى القضاء والقدر .

٢٦٠ الآية الثالثة في قوله تعالى : « وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر » .

﴿ التقاريط ﴾

لما كان هذا التفسير قد قرّظه كثير من علماء الشرق والغرب وأطنبوا في مدحه وقد طلب منا الكثير من قرائه درجته في الكتاب رأينا أن نضع في كل مجلد قسماتها بحسب ما يقتضيه المقام ، ونبدأ الآن بما جاء في « المجلة الاسويوية الفرنسية » المطبوعة سنة ١٩٠٨ لتبين بذلك منزلة المؤلف عند علماء أوروبا من حيث العلم والدين . وكذلك ما كتبه الاستاذ مصطفى السقا مدرس اللغة العربية وآدابها بالمدارس الثانوية الأميرية في جريدة المقطم يوم ٢٤ يونيو سنة ١٩٢٣ تقرّظا لهذا الكتاب . ثم تبعه بما نشر في جريدة الاهرام يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٦ ترجمة لما دمجها البارون (كراديفو) بالفرنسية في كتابه المسعى « مفكر الاسلام » وهاك بيانها بالترتيب مبدؤة بكلمة وجيزة للصحيح :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

جدنا لمن أنزل الذكر الحكيم . واصطفى لفهم أسراره كل حبر عليم . فأخرج من مكنون معارفه ثمين جواهر لآلبيه . وأظهر من الأصداف دورا غالية بعد أن خفي على تاليه . - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون -

وصلاة وسلاما على ينبوع المعارف ، تليدها والطارف ، سيدنا محمد محمود وآله معدن الأسرار ، وصحابة العلماء الكملة الأخيار ، وبعد ولما كان تنزيل ربا لا يدرك كنهه من نبي الانسان إلا الملهمون ، قيض الله جلت قدرته فيلسوف العصر ووحيد الدهر العلامة الحكيم (الشيخ طنطاوي جوهرى) لنشر معارفه الحكيمة مصداق - ما فرطنا في الكتاب من شئ - فجدير بأن يتسابق الى الوقوف على بديع ما أبداه من العلوم الكونية والعصرية كل مسلم محب الاطلاع على سر الكتاب العزيز ، وبذلك فليتنافس المتنافسون ، ونرجوا الله أن يطيل في عمر المؤلف حتى يكمل طبع هذا الكنز الثمين وان يتمتع الامة الاسلامية بمؤلفاته آمين

ابراهيم حسن الانباني

خادم العلم ورئيس لجنة التصحيح

طبعة الشيخ مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر

﴿ تقرّظ مجلة علمية ﴾

جاء في المجلة الاسويوية الفرنسية مانصه : « الشيخ طنطاوي جوهرى رجل فيلسوف حكيم ، مقدار ما هو عالم بالدين ، وبهاتين الصفتين قد فسر القرآن الذي أثبت أنه دين الطهارة بما هو أكثر ملاءمة للطباع البشرية وموافقة للحقائق العلمية والنواميس الطبيعية ، مما موافقة لخلاف فريق من العلماء العارفين الذين وقفوا على القشور وجدوا على الألفاظ جيدا معينا أدى الى انحطاط المدارك الاسلامية في العصر المتأخرة فانحطت بذلك الامم الاسلامية ، فهذه المباحث يخاطب المؤلف لأسم الاسلامية عموما وعشاى الدوح من كل أمة ، ويحاول إر . المناوئة عن أعين الأمم الاسلامية وتحررهم من الجلود الخيم عليها في جميع الأقطار وسائر الممالك على اختلاف انهم وتباين مسارهم حتى انه لا يحصى مدبرا دور المذهب والامسكة دين مملكة بل انه فوق ذلك يخاطب كل عاقل يريد الحياة والاطلاع على الحقائق من أي ريب وأي حجة بزيادة السرى لأن بحثه عام في الكائنات ونداءه عام حتى يلتحق الشرق الأدنى بالأمم العربية من العرب والعلم والمدنية والحضارة ، اه

﴿ تفسير الجواهر ﴾

اليوم فرغت من قراءة قسم كبير من ذلك التفسير الجليل للأستاذ الفاضل «الشيخ طنطاوى جوهرى» وفى نيتى أن أعود إليه مرة أخرى وربما عدت إليه أكثر من مرة لأن الأثر الذى تركه فى نفسى حبلى إلى أن لا أفرغ منه ، أحب أن أقرأه مرات كثيرة لأنه يعيدنى إلى الذكر ذلك الدرس السامع الذى كنا نتلقاه فى دار العلوم عن ذلك الشيخ الجليل ، بل الفيلسوف الكبير

كان الأستاذ يلقى علينا درسا فى تفسير القرآن الكريم ، ولم يكن تفسيراً بالمعنى الذى اصطلح الناس عليه فلم يكن الشيخ ممن يذهبون بعيدا فى تأويل الألفاظ وتحميلها ما لا تحمل من المعانى التى سماها غلاة الصوفية بالمعنى الباطنية والانسارات الرمزية ، ولم يكن ممن يعبؤون بسرد مذاهب أهل النظر والعقائد من سنية ومعتزلة وخوارج وشيعة وجبرية وقدرية وغير أولئك من الفرق والشيع ، ولم يعن بالمباحث اللفظية التى امتلأت بها كتب كثير من قدامى المفسرين حتى أصبحت عائقا عن فهم معانى القرآن الذى أنزل بلسان عربى مبين لقد كان الأستاذ يسلك فى تفسيره غير تلك الطريق التى سلكها المفسرون من قبل ، فكان يفسر القرآن كما كان يفهمه الصدور من علماء المسلمين فى العصور الزاهية . وكان يفسر القرآن مبينا ما اشتمل عليه من الاصول لنهضة الأمم وحياتها ، وكان يفسر القرآن بذلك الروح الذى سرى فى علماء المسلمين يوم كان الاسلام قويا وكان علماءه مسموحى الكلمة فنهضوا بأمتهم نهضة مباركة

عرفنا مما ألقى علينا الأستاذ خلاصة فكره فى تفسير القرآن وهى أن الدين الاسلامى منبع لسعادتى الدنيا والآخرة ، وأن المسلم يجب عليه أن يصلح حال ديناه مع سعيه لصلاح آخرته وأن كل تقصير فى الوسائل التى ترقى الناس فى دنياهم يكون سببا فى انحطاطهم وتسجيل الشقاء عليهم ، فكان كل ما يلقى تطبيقا على هذه الفكرة التى امتلأت بها نفسه . فكما نسمعه يشرح لنا العلوم الاسلامية والكونية والسياسية والاجتماعية التى بها تنهض الأمم وترقى . ويبين سنة الله فى الأمم التى بادت بما ظلمت وهلكت بما أسرفت . ويحذر الأمم الحاضرة أن تسلك مسالكهم أو تأخذ أخذهم فتصيبهم بما صنعوا فآرعة أو تحل قريبا من دارهم

وكنا نراه يعنى بالرقى الحسى والمعنوى الذى ناله أمة الحضارة . ويبين انه قائم على أسس من العلوم والفنون التى أهلها الشرفيون . وينبه الغافلين الى وجوه المدنية الصحيحة ويحثهم على التعلق بأهدابها . تلك كانت طريقة الأستاذ فى تفسيره الشفهى الذى كان يلقى على طلاب دار العلوم . وما كان أسعد دار العلوم مما غرس الأستاذ فيها من مبادئ الحكمة الرشيدة . وما كان أشد غبطة طلاب دار العلوم بذلك الدرس الحى الذى ملأت قلوبهم روعته ونفذت الى أفئدتهم حكمته

ولقد رأى الأستاذ أن ما كان ينتفع به الطلاب فى دار العلوم جدير أن ينتفع به كل مصرى بل كل شرفى فشرع يحرق تلك الحكمة العالمة ثم طبعها وأهداها الى أمتة التى بنفانى فى حبها والعمل لانتقاذها ، ولقد مضى على الكتاب العزيز نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن وضع العلماء فى خلالها مئات من كتب التفسير ولكن ليس بينها (بما أعلم) مثل هذا التفسير الجليل . ولم أعلم أن أحدا من المفسرين حاول وضع مثله أو حثت نفسه به

أقول ذلك وقد قرأت فى كثير من كتب العربين ولم أر بينهم مفسرا كان همه أن يطابق ما فى الكتاب العزيز على الحياة العامة للأفراد والجماعات ، سنن الله فى الكائنات والتدبير فى نظام الأرض والسماوات وما فيها من آيات بينات كما يعر سددا شيخ طنطاوى فى تفسيره الجليل

لست مبالغ فيها فى تقيده . وه هو . كتب حتى كتب منك . تحذره وتدبر ما هل مؤلفه نزل أن

الكتاب فوق ما أصف لكه وأن مؤلفه قدرزق من التوفيق حظا كبيرا - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم -

سترى (إذا قرأته) أنك تقلب النظر في روضة علوم أحكم غرسها وتنسيقها الفحول من علماء الشرق والنابعون من فلاسفة الغرب

ترى فيه جمال الاسلام ونصاعته وانه دين الفطرة الذي يلائم روجه كل زمان وانه الدين الذي رفع أمة الاسلام لما أخلصت الى حيث غاية الهمم ومنتهى الآمال وانه الدين الذي بقبس من نوره اهتدى ناس من أهل الغرب فنالت أهمهم من سعادة الدنيا حظا موفورا وقسطا كبيرا

ترى فيه المذاهب الجديدة والأفكار الحديثة في تطبيق العلم على الدين . وترى صاحبه نارة معلما للنبات يشرح خصائصه . ودارسا للحيوان يعدد أنواعه وفصائله . وتراه نارة فيلسوفا دينيا . وطورا زعيما سياسيا . وآونة شاعرا يخلق بك في سماه الحيال ، وأخرى كاتبنا بألفاظ من السحر الحلال وعلى الجلة ترى نظام العالم مشروحا وأسرار الأرواح محققة ومعجائب الكون مفصلة وسنن الوجود مبينة وآيات الله في الخليقة واضحة

وخلاصة القول أن هسير الاستاذ الشيخ طنطاوى هو ظرف لتجربه دامت نصف قرن قضاها مؤلفه بين طلب العلم في الأهر الشرف ثم في مدرسة دار العلوم وتدريس في المدارس المصرية على اختلاف درجاتها واطلاع واسع على الأفكار الذائعة بين فلاسفة الشرق والغرب ومعرفة بأمراس الأمم الاسلامية والشرقية عمة وخبرة بما تنطسه حاجتها إبان نهضتها . فلئن كان الاستاذ قد وفق الى وصف العلاج الساجح لما نحس من الآلام لقد كان نتيجة تلك التجربة الطويلة والغيرة الشديدة على الشرق وعلومه التي نسيت ومدنيته التي محيت ، ورجاؤنا الى الله أن يمدد في عمر الاستاذ ويبارك فيه ليطول به الامتاع ويم الانتفاع ان شاء الله تعالى

مصطفى السقا

مدرس اللغة العربية بالمدارس الثانوية الأميرية

﴿ المفكرون في الاسلام ﴾ (١)

أبرز لنا الشيخ طنطاوى جوهرى المصرى الجنس كتسا كثيرة فلسفية دينية وهو روح قوية مفيدة ملك الذوق العالى ويشعر بنشاط قوى وحاسة بما فى الأمم الاسلامية من النقص الشأن الذى حط من كرامتها فى عيون أمم الغرب ، ويجتدى بث فكرته ونشاطه وحجاسته بين معاصريه فى أقطار الاسلام ليبرهن لهم أن اكتساب العلوم ليس مما لايتضاد الاسلام فحسب ، بل ان العلوم مجددة لشباب الاسلام معطية له قوى جديدة . ويتبين من كلامه انه رجل السلم والاتساية الراغب فى أن يرى المودّة مشيدة الصروح بين الأمم معتقدا أن الديانات تسمى لنشر هذه المودة العاقمة كما يظهر من ناحية أخرى انه مخلص صادق أمين . وهذا الحكم استتجناه من أسلوبه السهل المنتعش الحياة العالى النادر الوجود . وبالجملة فالاستاذ ينجلي فى نفسه من كلامه بهيئة محبوبة ذات روح لطيفة وشخصية بارزة

فسر القرآن بطريقة فريدة نستحق الاحترام والاجلال شائقه جديدة ومع ذلك لم يشذ فيها عن آراء المتقدمين . وابتدأ بهذا التفسير وهو مدرس بدار العلوم . وكان يلقي على تلاميذه يسير بعض الآيات وتلقته جميع الأقطار الاسلامية وانتشر فيها أى انتشار . والصفحات الأولى منه ريبك حبيبة واضحة وآية طاهرة وفوة

(١) فسر مستخرجة من كتاب « مفكرى الاسلام » للإعلامه البارون (كارادى فر) وهى تعريب النص الفرنسى بالحرف من صفحة ١١٦ الى صفحته ٣١٤ . عنوان المفكرين فى الاسلام وذكر منهم فيه بمصر ثلاثة : رفاعه بك والنامم الشيخ محمد . والاستاذ اسيد طنطاوى جوهرى